روايات إسلامية

16

عمر يظهر في القدس

نجيب كيالاني
مقالة قصيرة

أختي القاري

أعرف أن هذه الرواية قد تثير عديدًا من التساؤلات الفنية والفكرية والعقائدية، وذلك لطرازة فكرتها وخروجها على المألوف. لك الكتاب الذي جثم على روح الأمة، وموجة الأمم العازمة التي أرجعت تصوراتها وأحلامها، والهيبة الضارية التي استبدت بعقلها بنها، فنجيت ينابيع متباينة المذاق. ومهدها الطريق أمام روؤي عديدة، بعضها زائف مضطرب، وبعضها أصيل. غني بالخصوبة والحياة والقوة.

إن هناك قضايا فكرية وعاطفية. وهناك علامات استفهام كثيرة تملأ الرؤوس وتدامنا في البيضة والمنام، ولا بد للأشخاص الحررة أن تروى التجارب المدهشة، والحياة تجارب، لتعرض لما تشاء في جدية وعمق ووضوح...

ومع ذلك فإن للمضمون أكثر الأثر في اختيار الشكل الفني، بل إن المضمون قد يفرض شكلاً بذاته، والسلام.

نبيب الكيلاني

عمر يظهر في القدس

٢٠٠٨ / ٢٥١١

رقم الإيداع
قلت لك يا أمي أليف مرة، ليس هناك ما يدعو إلى القلق، الحقيقة أنني أشعر
بحزن ثقيل ينوع به قلبي، ومرارة عارمة تتشبع بها روحني،
وتملكني يأس معاندني، لا يفيتنا يطالعني من وقت لآخر، ومع كل
هذا لا موجب للقلق يا أمي، لقد أصبحت هذه الأمور كلها بمرور
الوقت أمرًا طبيعيًا في حياتنا، نحن جيل الضياع والأحزان
يا أمي، أيام الذل مزرعة خصبة للألم والأحزان، وسنوات
الهوان الطويلة لم تتفجر عند نهر بيده الظلم والوجوم,
وتمادى العدو في طفيحته وعبثه وغروره، دون أن نستطيع
التأثير منه، يشعرني بعجز قاتل، ويعصف بالأحلام الخضراء...
هذه أعراض لايد منها، ولو لم نكن استباحتنا على هذه
الصورة، لكننا بالموتى أشبه.. نحن أحياء نرى.. نستوعب
الأحداث، وتنفعل بها، وينغصنا الأف وفنا ونعذب وتشرد
ونلم كل يوم.. نحن بشر يا أمي، الذين لاينفعلون بهذه
الأحداث هم المشدؤذ نفسه، وهؤلاء هم الذين يجب أن تتقلى
عليهم.. تقولين إن اليأس كفر، ورحمة الله وسعت كل شيء..
إن كلماتك صواب.. لكن هناك نوع من اليأس قد فرض علينا
فرضًا، لا حيلة لنا في رده أبداً، إنه قدر، وهو في نفس الوقت
عصاب.. نحن الذين جدلنا تسريح الهزيمة بعبثنا ولهونا

عمر يظهر في القدس
واستهتنا.. وقد وقع العقاب، أيكمن أن تكون المأساة مطهرًا
نتغسل فيه من الخطايا والعهر القديم؟ أمي.. لا بثتسني، فإن
الأحزان القديمة الطويلة سوف يتدعى بناءها الحقيق، ويخرج
من قلب القفائر والعنان والركام عملاق يحمل بين كفه فجر
الخلاص.....

وسكت...

كانت أمي تنظر إلي بوجهها المشابح الحزين، والنموع
ترقص في عينيها، ولعلها كانت تظن أنى قد أصبت بنوع خبيث
من الجون، وأغرب أنواع الجنون ينبع من هذيان نسيم حكمة
ومنطقًا قويًا، وتفسيرًا جدًا للأحداث الجسام التي يرى لها
كيانًا.. ولم تزد أمي على أن نصحنتي بأن أقل من السهرين
وابتع ببعض الوقت عن إطالة النظر في الكتب، وأن أبحث لي عن
عمل أدنى فيه مراري وأحزائي.. وقبل أن أنصرف عنها قالت:
"لست أدرى إلى متي تظل بلا زواج؟"، وربما كانت تعتقد أن
ارتباكى بزوجة، وإنجابي لعدد من الأطفال قد يخدم بديلاً جديداً
لأهمية الروحية والفكرية، أو ربما كانت توقت من أجل
مستقبل ابنها ختهما التي كان هناك شبه اتفاق غير مكتوب على
أتي لها، أو لي، أو لها كانت تريد بديلة لأختي وأبي أولئك
الذين استشهدوا في معركة القدس في يوم من أيام حزيران
السوداء.. وقلت لها في توتر: "أمي، لا تطمع للأعراس، وأعلام
العدو تخفق في سماء المدينة المقدسة.."
ولفحت وجهي المحتفظ الملتهب أنفس عطرة تدبة،
أحسست أن يدا سحرية نصب في قلبي وعقلي قطرات من الراحة،
والسمنة والرضا. حاولت أن أفتح عيني فتدفع النور
يا ماه إذا جرى! أخذت أنحسس جسدي، وفتح عيني ثم
أغلقهما، وأقبلت يدي ثم أبطستها. وانتفست بقوة وشعرت
بيد حانية ترتبت على كفتي في حنان ورفق. انخفضت، أسرعت
بالوقوف وقد داحمني ذعر شديد، ونظرت خلفي فإذا برجل
مديد القامة، مشروق الوجه مشرب بالحمرة، تضفي عليه لحيته
البيضاء وقائراً جائزاً، وكان أروع ما فيه عينيه الصافيتين
والواستعتين اللتين تفيضان صفاءً وقيظاً، وأمناً: «سلام الله
عليك».

صحفت في ازتيكا: <من أنت؟!>.
 قال والإنسامة تتعاقب كلماته: <فرض عليك أن ترد السلام
على من يقرؤك السلام>.
 قلت وانا ألهى: <ول عليك السلام، فمن أنت؟!>.
- <عبد من عبيد الله>.
- <لم تجب...>.
- <الحقيقة الأولى هي أننا جميعاً عبيد الله>.
- <ولكن لكل عبد اسم ورسم...>.
 قال وقد أحني رأسه حيا، وتبادعاً: «أسمي عمر بن
الخطاب».

钮

٨

كتب الله أنت.
لا أقدر مرضًا من الأمراض المعروفة بشدة عدواها وخطرها، وقل: "أريد أن أزورها.

- "مستحيل؟
- "كيف؟ هل أخبر بها مغلفة، أم أن هناك حربًا وحصارًا؟"
- نظرت إليه طويلاً ثم قلت: "هل منك هوية؟
- "هوية؟ ماذا تقصدين؟
- "هوية، بطاقة شخصية.. جواز مرن.. أي شيء يثبت شخصيتك.."
- "إني لا أكاد أفهمك يا ولدي؟
- "الإسرائيليون يا أمير المؤمنين لن يغفوك تمر!!
- "أهم قطاع طريق أم جيش مهاجم؟
- "ارتميت لدى قدمي أسكب الدموع، كنت أهدي وأقول:

القدس تحت نير الاحتلال.. أخذنا القدس القديمة هي الأخرى، القدس العربية في نكبة "حزيزان".. دورياتهم تجوب الشوارع، وتتفق على نواحي الحارات، وتراقب المارة، وتتفشّي السيارات، لا يغلق منهم أحد، حتى النساء والأطفال والمجازس.. تغيّرت الدنيا، وظاهرتهم أمريكا.. العار يفرح في أرضنا النتعسة منذ سنين..."

قراه الحيرة في عينيه، وعلى وجهه المشرق، وشرح لي أنه يقف الآن وبيني وبينه أربعة عشر قرناً من الزمان، واعترف في...

السنين، ثم ينهض، وشهدي من حيرته حينما تسأله قائلًا: "ما هذه المدينة؟"

- "بيت المقدس يا أمير المؤمنين

- "أرضنا الموعودة.. جئت من وراء السنين لأرى وأقول.. ليس لي رصيد سوى الكلمة.. يا جمالها!! لقد زرتها في حياتي، ووضعت جهدي على ترابها وأنا أُسجد لله.. لترابها عبير لم يزل عالقًا بانفسي.. ولها نكرات.. وحاولت زيارتها مرة أخرى لكني لم أستطع.. كان الوباء متفشيًا فيها.. وقررت يومها الرجوع.. وقال قائدنا الهمام أبو عبيد بن الجراح محتفًا: أتفرّق من قدر الله يا عمر!! وقُلته له: نفر من قدر الله إلى قدر الله.. وكان نبينا صلى الله عليه وسلم قد أوصانا بالانبتعاث أرضًا بها وباء، أو اقتصر من أرض أصابها الوباء.." وهكذا رجعت..

- "وانهمرت دموي وآنا أقول: "يا أمير المؤمنين.. إن بالقدس اليوم وباء خطرًا!!.. هتفي في إشراق: "الطاعون؟

- "الطاعون يقضي على عدد من الناس.. لكن الوباء الآن قضى على شعب.. وتاريخ.. وقيم كبير.. في القدس اليوم الإسرائيليون آفة البشر، وحاملو لؤلؤة القدر والحقد والدمار.."
توضيح أن كثيرًا من الكلمات التي قلتها لا يستطيع أن يفهم معناها تمامًا مثلما حدث في القدوم عندما دخلوا بلاد فارس والرومان، ووجدوا كثيرًا من التقاليد واللغات والأسماع والمحطات التي تختلف اختلافًا كبيرًا عن مثيلاتها في بلاد العرب، وطلب مني أن أشرح له معنى الاحترام وحزران وأمريكا والسيارات، وهمت بالحديث، لكن هديرأ صخابًا سد أسماعنا، وبدد السكون، ورأيت الخليفة يرفع عينيه إلى السماء مستغربًا، ثم تمت: "الأسماء تقف بالษา والحمض ...

همست في حزن دون أن يبدو علي آية بادرة من بوادر

الخوف: "إنها الميراج"

- "ماذا تعني؟"
- "طائرة ...
- "إنها تنطلق بسرعة مذهلة، وتسير كأنها يوجهها أحد ...
إنها لا تتضيء ذاتيًا ... أتراكها مخول غريب ظهر في عصركم؟
ثم لماذا تعني بكلمة طائرة؟

قلت خاضع الرأس حزينًا: "آلة صنعها الإنسان من حديد ومعادن شتى، تسير بوقود من البترول، تنطلق في الجو عاصفة .. تقفذ بالنار والموع والرعب .. لا ألقب لها .. تسرق النصر، تنفث الذل أو الفناء في صفوف الأعداء .. ومنح الجد والسقينة لأصحابها .. هي الوفاء الأعمى .. تهد الجبال .. وتضم المنازل .. وتشغل الجرائم .. صنعها الإنسان .."

عمر يظهر في القدس

13

12
واحمر مرفع الرأس صوب الطريق العام وأنا إلى جواره،
وأخذ يمد السير دون أن يبدو عليه إجهاد أو تردد، وعديد من الطائرات يشق الأفق، وعشرات السيارات الصغيرة والكبيرة تمر مسرعة، وهو يتابع تلك الحركة وضجيجها بنظريته المستغربة، وتمتم: «يبدو أنه ليس وراء عالمكم سوى صناعة الحديد».

- «أصبح الحديد هو الوسيلة لكل شيء».  
- «لا باس كان السيف من الحديد».

ثم استمر، بعد برهة: «لكن المسلم كان أقوى من الحديد بإيمانيه».

وألوية الحق تخفق فوق العالم المعمور، وكان إيمانكم أقوى من الدنيا، وسيوفركم ليقرها باطل. «كنتم خير أمة أخرجت للناس» ألا تقرأون القرآن؟

قلت في أسي عميق: «كل شيء تغير، أصبح الرجال غير الرجال والمبادئ غير المبادئ، ومال ميزان القوة، وأصبح المسلمين مستعبدين، وفقد كل شيء إلا الأمن».

ضرب كفًا بكف، واكهنر وجهه هذه المرة، وقال: «أنتم لا تعرفون الله، إن تنصرفوا الله ينصرفكم قول لا يتبديل. لأنها كلمات الحق العالية. لم أكن أتصور ما حدث، أيهظمكم اليهود؟ لو قال قائل في زمننا أن اليهود فتحوا مدينة من مدن الإسلام في أعيامي لا استلقي الناس على أقفيتهم من الضحك، إن الأمور لسرا لا يبدو للعين، عسير علي أن أهضم هذه الأمور، لكنكم صانعو الماضاة، ولا شيء غير ذلك».

ثم التفت إلي وأفرز الغزير يتباطأ على جبهته ولحيته: «هيا إلى بيت المقدس».

- «والهوية؟».
- «لا شأن لك بذلك».
- «إني أخف عليك».
- «وأنا لا أخف إلا الله».

ومنظر إلى بعيد، حيث تقع المدينة الخالدة بمبارياتها و만انها، وقبابها، وأعمدة من الدخان الأسود والأبيض تهرب إلى الأفق،

۱۶
۱۴
تمتد لينا الطريق، وأنا أشعر بسعادة غريبة، أسبت الرجل المرجح الذي كان له شرفة الصحبة مع رجل ذكره يتردد على حُكم التاريخ.

كأعظم ما يكون الرجال، وأنا أسير إلى جواره لا أكاد أصدق، ساندي صديق ذات يوم عن العصر الذي أتمني أن أعيش فيه، وكنت أقول له دائمًا أنني أعيش عصر النبي وما فيه من رجال وصراع، وهذا عبق من عصر النبي، إنني مشفق من المستقبل، لكنني سعيد برم الهواجس التي تلعى برأسي.

وعلى يسار الطريق قامت شجرة فارهة تتدفق حيوية، وتتذليل أغصانها الخضراء حتى تكاد تلامس الأرض، وترى جوارها خيمة صغيرة مزركشة تتلاقح في الأروان المختلفة والستائر الفضية، وتحت الشجرة جلس فتاتاً فتاة، وكانت يد الفتى تطرق عنق جارته الفتاة ذات الشعر الذهب، ورأسها متلاصقان، وبدايما في يده الأخرى، وكانت نظراتها ت قطر رقة ولونه، لا يكادان يشعراً بما حولهما، يهيمان في الدنيا حلم ديناصت عينا عمر دهشة، وهتف: "ما هذا الذي يحدث على قارعة الطريق؟"

"طلقو اللعب يا أمير المؤمنين..."
لا شك أنهما أصيبتا بلوثة من الجنون، إنهم ينشران السوء والفاحة ...

عدد إلى الإمساك ببدء المرتجفة وقتل ضارعا: "هنا يهوديان، ومن أصحاب الأمر والنهي، وما علينا إلا أن ننصرف وإلا ..".

نزع يده في عفن وقال: "يهوديان؟ لم تنتصر طبائعهم منذ قديم الزمان، كانوا بالأمس يستترون في بيوت الدعارة والمجون، واليوم ينشرون فسوقهم علانية، إذا لم تتوركي فساضرتك أنت الآخر .."

حاولت أن أشرح الأمر من جديد، فاليهود يحكمون المدينة، ومجموع النساء في عصرونا سافرات، وفتيات الجيل وفتياتهم لهم حق التصرف بحرية إلى مدى بعيد، أصبح نك أمرًا يكفله القانون، والتصدي لهذا "الحق" يجر إلى عديد من المتعاب، لأن عمر كان يغلي عن الغضب، وصالح صيحة زلزلت الفتى والفتاة، فساد وجوههما الشجاع والخوف، وانقض عمر عليهما ضربًا بالعصى، مما جعلهما يفران مذعونين ويلجتان إلى "بيارة" قريبة، بعد أن تخطت الزجاجة والكأسان بينما وقف عمر يلهث غاضبًا، ويهز العصا في يده، وتمت: "أرى الفساد قد استشرى بصورة مزعجة .."

قلت: "طريق العودة إلى الله تسده صخور هائلة من الفساد ..".
قال عمر وهو يلوح بيده: "وأين خليفة المسلمين في المدينة؟ وأين ولادنا في الجزيرة العربية والعراق وفارس و مصر؟ أين آلوف الألف من حملة الرايات والمصاحف تأتي جيل الهواة والشخريات والعبد؟!

حاولت تهيئة خاطرها، كنت أرى أن يعتمس بالهدوء في مواجهة واقع أليم يفيض بالتحديات والانحرافات، ولم يكن هناك من سبلة سوى أن أوضح له الحقائق في كلمات سريعة...
حاولت إعطاء صورة لما حدث في مصر للمسلمين، كيف ضعفوا واستخدمو، وكيف دامتهم أوروبا بعلمها وخيبرها...
أحدث آلات النصارى التي استحدثتها، فاحتلت بلادهم سنين طويلة، وكيف نفتتح سمومها في فكرهم ودينهم وتراثهم، فاعترض في صفوفهم البليلة والاضطراب، وملأت حياتهم بالشكوك والذكريات، ثم كيف تيقظ المسلمون، وحاولوا استرداد حرياتهم وبلادهم، وشربت له ما جرى للخلافة من وهن ذاتي، وكيف تأثرت قرى الشياطين للقضاء عليها، ثم القيم الجديدة التي تحكم مصرًا، وكيف تحول المسلمون إلى مجرد مدافعين مما تبقى لهم من شيء قليل، وكيف انقسم الحشد الواحد إلى قواعد صغيرة معزولة، تجتر كل واحدة أصها، وتنعي حظها، ولم يزيد عمر على أن قال والدumo في عينيه: "عادت الجاهلية كأعلاف وآخذ ما يمكن...

أخذت أذن رأسي وأقول: "نحن في حاجة إلى نبي جديد"
قالها عمر، وهو يرصد الجندي بنظارات قاهرة لاتقاوم.. تراجع الجندي بضع خطوات للوراء، ودارت بي الأرض، لسوف ينطق المدفع الرشاش، ويحل الخلفية إلى أشلاء ودماء في لحظات، وآلات العصر الجاهزincorrect ae تفوق بين الأظهر والأشرار، ولا تميز المؤمنين من الكافرين. إنه عمر الملحدين والرافضين. فانتفض على الجندي كي أمنعه من ارتكاب الإثم الأكبر، وفتحت عيني لأرى عمر يضيء في طريقه مرفوع الرأس، والجندي يعود إلى خيمته دون اعتراض. لماذا مضت الأمور على هذا النسق الغريب؟ لا أدرى.

ولم تكن نبتدب بضع خطوات، حتى سمعت نداءً صياحًا خلفنا، فالقت فذا بسبيارة، وبها عدد قليل من رجال الشرطة وبنها «أليك» وفتاه، العاطفان اللذان كانا يتساقيان كنوع الهوى تحت الشجرة.

وقالت الفتاة وهي تشير بسبابتها المخضوسة صوب عمر، إنه هو. هذا الشيخ الرجيع وأمثاله لا يعرفون أصول اللباقة. والأدب...

اندفع عمر نحوها ببصاء وهو يزعم: «أتى الهمة. أطرافين على ظهور أمامي مرة ثانية! مال أن بالمدينة رجالًا حقيقيين لجدولك أن ت وذلك العريب لتكوين عبرة تغيرك...»

انحنى الشرطي أمام عمر في ابتسامة ماهرة وقال: «معذرة. أيها الشيخ الجليل، يجب أن نصحبنا إلى مركز الشرطة.»

»قال في طريقنا...«

وأمسك بيدي، وسرنا صوب المدينة. كان يرتتج غضبًا ودهشة، ويبحث الخطي مسرعًا، وسما الحنف والتوتر تصبح حركاته، وترتمس على ملامح وجهه، وعند مدخل المدينة كانت توجد نقطة حراسة إسرائيلية، وقدم نحونا جندي يحمل مدفعًا رشاشًا وقال بكلمات عربية عرجاء: «الهوية» أبرزت هويتك فتصفحها بثقة، ثم ركز نظارته على وجهي، بعض الوقت، وهز رأسه، ثم قذف بها إلى في استهتار وتحد، وبعد ذلك اتجه أمير المؤمنين، وأنا أرتجف من الخوف، ماذا سيفعل؟ كيف سيواجه عمر هذا الموقف المشائم؟ وتصورت القصة التي تحدث دائما، لسوف يسوقونه إلى مقر رجال الأمن، لعمل التحريات اللازمة، وربما يلقون به في معتقل من المعتقلات الكثيرة. أو يحكم عليه بالسجن لبضعة شهور، لماذا لم أذكر الأمر كما يجب؟ لم يكن بإستطاعتي أن أزيح له هوية؟ كيف أقف مكتوف الأيدي أمام هذا المشهد: جندي أرجن يتعترض لخلفية رسول الله! أعلم من حكم الأمة، وأقوى من ساس الأمر بعد الرسول، والقرن الفرس والروم، وعامت زور الرسالة الإلهية في المشرق والمغرب آية مهزلة توشك أن تحدث؟

»وأنت.. أين هويتك؟«

»بلا هوية.. أنا معروف.. لا أدر أن أمر...«

(كتاب الأثر، 23)
وفي لمح البصر ضرب عمر المدس من يد إيلي فانذف إلى بعيد، وهربت الفتاة إلى إيلي المرمط الحائض وأخذت تقول:
«لقد كاد يقتلني يا إيلي، إن في يده قوة مهولة»
ثم أخذت تضحك وتنقل نظراتها بين وجه إيلي الحائض وممسسه الملقي بعيداً، وقالت: «يسطع هذا الرجل أن يحقق ثلاثة مثلك في لحظات».
ثم عادت إلى عمر تتحسس ذراعيه ويديه وتقول: «أنت كهيل مثير للغاية، إنني أدعوك للعيش معى».
ركبها عمر في عفش وقال: «خذوا هذه الكلبة عني».
وعلى الرغم من أنها ارتمت على الأرض، إلا أنها كانت تبتسم في دهشة غريبة، ومتمم إيلي في غيظ، وقد رأى شبابها منحسراً. ونظراتها الوهيلة مركزة على الشيط: «ما هذا الذي تفعلين يا راشيل؟»
قالت وهي تهم بالنهوض، ثم تنفض التراب عن ثيابها: «لكني أحببته يا إيلي، أعني أنتي معجبة به، أو ليس لي الحرية في أن أ neger عن حقيقة شعورية؟»
«لا مجال للذعر والعبث في هذا المجال... لم تعره التفاؤل، وواجهت ضابط الشرطة قائلة: لقد تنازلت عن حقي، وسحت الشكوكي... ثم توجهت إلى "إيلي" بنظراتها قائلة: " وإيلي هو الآخر معني في ذلك...»

إشارة عمر بإبهامه على صدره قائلًا: "أنا!؟"
- "أي..." هز عمر رأسه قائلًا: "فهمت... تطلبوني للشهادة... يبدو أن بكم بقية من نبوءة...
اضحك الشرطي حتى كاد يستقي على ظهره، ثم اخذ سمت الجلد والتحدي وقال: "نحن أساتذة العالم... ولم تعد بحاجة إلى عربي يعلمنا السلوكي والآداب... أنت متم بتدخل في شؤون الآخرين، ومتم بالاعتداء بالضرب على فتي وفتاة بريئين..."
قال عمر في دهشة: "برئين؟! أنا متهم؟! أنا تخطت ووضعت الفتاة نزاعها حول عنق فتاه وقلت وهي مستغرقة في الضحك: "إيلي يا حبيبي... إن هذا الرجل طريف للغاية... لكانه من أهل الكفف... إنه تحفة نادرة..." استمر عمر إلى عنفها، وجدتها في عنف وهو يقول: "لا يمكن أن أرضى بهذا التحدي للأداب والشرعيع. الصمت في مثل هذا الموقف جريمة، ولو كان حوله ألف شرطي."
وحاول ثلاثة من رجال الشرطة تخليص الفتاة منه دون جدوى، فأخرج إيلي مسدسه نحو عمر قائلًا: "إذا لم تتكرحا فسوف أفرح الرصاصات في رأسك... واندفعت إلى عمر كالمجنون وقتل ضارعاً: "اتركها بالله وإلا حدثت كارثة..."
وقد قصدنا الميضاءة، وعمر يتمتع بالدعاء والآيات. ووقف خلف أحد المتضنين حتى جاء دوره، وأبدى إعجابه بالنظافة والماء الوفير، وشرب مراعته منه، ولم يخف رضاه عن مناقشة المستمسح، لكنه انتقد بشدة ذلك التبذير الواضح في استعمال الماء، وفرح أيضاً فرح بتكاظر肌肉ين أفواج ما لانه الفريضة، وهمس: صدق رسول الله: «الخير في وفي أمي إلى يوم القيامة»، ولاحظ عمر أن الوجه يكسرها، وظل يردد: «ما أقول!»، وروضها الذهول والقلق، وعندما جلست في ركن من أركان المسجد الواقعي، وتحسس السجاد الفاخر، ونظر إلى التهريجات الكبيرة، واللحمات الكهربائية الضخمة. بدأ له أن ذلك نوع من البذخ لا مبرر له، وخاصة في وقت حب هذا الوقت، وتعجب للمنير العالي المنقم الذي يعبر عن نفته جمياً، وظهر الضيق على وجهه حينما رأى الكثيرين من المصلين يختون السروف كي يجلسوا في المقدمة، فلم يتناول عن الوقوف، وأخذ يعلمهم أن تختي الرقاب في المساجد أمر غير مستمسح ومنهى عنه، وأوصى كل من يقول به جلسة حيث انتهى به مكتبه من الصف الأخير، ودُمِّشَ إذ رأى البعض لا يكثرث كلماته، ويصر على تخطى الرقاب، وتمتى «ألست على حق؟»!

فأخذ ألمضاب ورقة من جيبه، وطلب منه التوقيع. ولقت لعمر، وأنا في قمة السعادة: «نستطيع الآن أن ننصف بحمد الله».

كان عمر لا يستطيع فهم اللغة التي يتحدثون بها، وتمت: «ما أجري؟!»

- «لقد نجنا الله..»
- «وهلذا؟!»
- «يا أمير المؤمنين..»
- «لأن أغادر هذا المكان قبل أن..»

لكنه توقف عن الكلام حينما رأى سيارة الشرطة تنطلق مسرعة، ومن خلفها الدراجة البخارية التي يركبها «أيلي» و«راشيل» ومن خلفها زوجة من الغبار الخفيف.

وعمل عمر: «لقد هربا..»

وقلت: «لقد نجنا..»

لكن عمر في ضيق قاتل: «تصرفاتك لا تليق بمسلم.. أنت شديد الخوف، ثم تنهد وتنظر إلى السماء، كانت الشمس تتوسطها، والجو شديد الحرارة، وقال عمر في عجزه: «لقد حان وقت الصلاة.. اليوم يوم الجمعة.. هيما إلى أقرب مسجد لنؤدي الفريضة.. أم أنك ممنوعون من تادية شعائر الله في المساجد؟!»
فلا يراعى كلما mıً! وسمع عمر صوًّا قويًّا نديًّا رقراًًا يردد سورة الكافرون، وأخذ يطبع هذا ونحوله اللسان هنا وهناك وأخذ المصنون يتسابقوان ينيزجامون صوًّاً صوب الأبوبين، بينما وقف رجل رث الثياب، مععل الصحة ضارع النظرات. يقول كلمات استجابة، ويمد يديه طالباً الصدقات والعون من أصحاب النخوة، وأخذت الأجساد المتزاحمة ترتطم بعمر من كل اتجاه. حتى كاد يثور فيهم محتشاً على هذا السلوك الشائن في بيت الله. لولا أنه استنفر الله. واعتمد بالصبر، وتمتم ونحن نغادر المسجد: "لكنما يفرون من وراء. أخشى أن تكون صلاتهم مجرد حركات ميتة لا روح فيها. أين الخشوع. والقلب المعلقة بالله؟! الوعاء خالٍ من أي شراب الشكل وحده هو ما تهتمون به. عبادتكم بلا جوهر. أخشى أن يكون الأمر كذلك...

وصمت برحة ثم استطرد قائلًا: "لم أفهم إلا القليل مما يقوله خطيبيكم... و لماذا يمسك في يده أوراقاً؟ لكان بهذه الأوراق ستائرًا أكثراً يفصل بين قلوبكم... ماذا قال أه.. الميني جيب؟

قلت وأنا أكتم الضحك: "بدعة جديدة..."

- "ماذا تعني..."

- "لباس قصير ترتديه النسوة فوق الركبة بكثير. ألم تشيئًا من هذا في الشوارع؟"
المسجد يستطيعون إلى الخطب دون انفعال.. وكان الخطيب يهدى بصوت لم أر لقفوته مثيراً.. لكنه ثروت كثيراً بلا مبرر.. وكان أكثر اهتماماً بتزيز للكلامات وعرش العبارة، ومخارج الحروف.. والمسمى أنه كان كثير الأغلاف.. حتى الأسلاع العربية كان يخرج من بين شفته مهالاً غريبًا.. كيف تسيئون استعمال الكلمات والقرآن بين أبيديكم.. إنه الميزان.. أنتم غرباء حقاً.. إنني أكاد أنكر كل شيء أراه وأسمعه.. أنتم أكنوبة كبيرة في التاريخ.. حياتكم وفكركم وعلكم زيف لا مثيل له.. وجودكم مستعار.. أين المسلم؟! لا أد أن نبحث عنه.. ابستت في مرارة.. السيني كلماته أشد الإيلام.. لكنها كانت تصرخ بالحقيقة.. المأساة طويلة متشابكة.. جذورها ضارية في أعماق وجودنا.. تتفجأ الحيرة والشك والظلمة، وجيلى مخدر.. تائه.. وأننا أشعر بالجوع الشديد.

- «يا أمير المؤمنين.. ألا تريد أن تأكل؟!»
- «لم أشعر بالجوع بعد ..
- «حان وقت الغداء ..
- «نحن قوم لا نأكل إلا إذا جعنا للطعام أوقات معينة تحددها ظروف العمل، ونصائح الأطباء ..
- لا شك أنكم جميعاً مرضى بدء المدة ..

فهمت أن اليهود المنصرمين هم الذين يفعلون ذلك وحدهم ..
- إنهم جنون أصاب العالم كله ..
- والمسلمون؟!»
- كثيرات منهن يفعلن ذلك يا أمير المؤمنين ..

احتقان وجه عمر، ودمددم مغطاةً: «أليس فيكم رجل رشيد؟!»
- الرشيد موجود، لكنه يصل ويجول في حيز الكلمات، وليس له أدلة سلطة في مجال التنفيذ ..
- هناك يا أولياء أقوام تردعم الكلمات، وآخرون لا يلزمون الجادة إلا بالعصا .. إنك مسلمون لكن بأخلاء اليهود ..

تممت في أسئ: «هذا قول حك» أجزا .. أصبح الدين كلمات مجردة .. ونصائح تلقى .. ومورعاً تسكيب، وأعياداً تصام، لقد استطاعت الأيدي القدراً أن تنزع عنه السلطة والسلطان، وفرط رجاله في الأمانة، وتنازلوا عن حقهم، فانزوياً في المقابل والزوايا ومجالس النكر والمكتبات .. هذا حق يا أمير المؤمنين ..

وبعد فترة تفكير قال عمر: «إن هزيمتك قديمة.. أرى أن قوة خفية قد تآمرت عليك.. واستلت الإيمان من بين حناياكم.. وحدث قلوبكم بالورق والدمى المشروحة .. كان الرجال في ..

عمر يظهر في القدس 31

كتاب الأخت .. 30
هزت رأسي في أقصى وقت: «بالصبر .. والتدبر المحكم، والفكر الساهر .. والعلم الجديد .. وقوة المال .. سيطروا على مقدرات الدول وكبار الشخصيات ..»
قال: «سرقوا من المسلمين بعض فضائلهم .. ومضى في طريقه خطوات، ثم قال: «لكنهم يفتقدون الشيء الأعظم»
«ماذا؟»
«العقيدة»
«وأستدرك: «هل أمريكا دولة يهودية؟»
«بل تدين بالمسيح ..»
«وكيف تركت أخواتها في النصارى، وأزرت اليهود الذين حاربوا عيسى، وحاولوا صلبه؟!»
«أمر يطول شره ..»
«من العسير أن أفهم مبرزاً لما يجري في عالمكم»
مساجدكم ضخمة، يروع الباحث رونقها ونظامها، وتابوتكم عالية مزينة بالزخارف والألوان الورقية .. والثبات المدرّب من السقف تفوق ثرية قصور كسرى وقيصر .. وازدحام العباد يروع البصر .. وتجدون ترنيم القرآن .. للكشف في الحضيض .. تنافض مذهل .. أرى الفتنة تظل برأسها في كل مكان .. كيف تجمع اليهود .. وكيف أصبح لهم كيان؟!»
٣٣
٣٢
قُمَم الجبال، يعودون في الليل والنهار. قد باعوا أنفسهم لله.. يخوضون المروى والكُفُور والياس شجاعًا وبالجهاد يتعبدون...

نظر عمر إلى الأفق البعيد وتمته هائتًا: "أريد أن أراه...

ثم التفت إلى فجأة وقال: "لماذا لا يتحدث خطيبكم عنهم...

خطيبنا مراقب، والسلطات اليهودية تحدد له موضوع الخطبة...

"إذن فهم الذين يخطبون...

"قلت والعدوأ تأكل قلبي: "إذن فهم الذين يخطبون...

"حتى في بلاد المسلمين يحدث شيء كهذا.. ما يرضى الحكم فهو من الدين، وما يتعارض وجهة نظرهم فهو كفر وإلحاد.. لقد صنعنا لنزل دينًا جديدًا من الفكر الضرير...

"لكنني لمحت في السماء طائرًا "هليوبيرت" تحلق، ورأيت سيارات العدو ومصفحاته قادمة مسرعة، فهَتَفْتُ في خوف: "هيا يا أمير المؤمنين، قبِل أن يدهمنا العدو، ويوجه إليها تهيئة وضع المتفجَّرات، والانتماء للمنظمات الفدائية...

لم نكد تلقت حتى أحيط بنى من كل جانب، فوُحَت المدافع الرشاشية مصوبة نحونا، ونورات الحقد تحاصرنا.. لقد وقعتا...

وفي أحزان، عاد النسيم، أرسلنا على شعبنا نستقبل الدنيا رأسًا على عقب... هيا بنا...

ثبت عمر في مكانه طالبًا المزيد من الشرح، بِينت له أن المتفجِّرات نوع من أسلاحة الموت والدمار الحديثة، وأن العرب الفلسطينيين أصحاب الأرض التي استولى عليها اليهود لم يستسلموا. وهم يواصلون جهادهم سرًا بإمكانياتهم البسيطة ويزرون على العدو أمنه في الليل والنهار، ويقومون بنشاطهم متخفَّفين، حتى لا يُفِضِّحُهم نطق الحراسة، أو يدهم العدو من كل جانب، بعضهم يا أمير المؤمنين يقضي نحبه شهيدًا في المعركة. والبعض تكتم له النجاة، وآخرون يقبض عليهم ويسقوون إلى ظلم السجون حيث العذاب الرهيب، والموت القاسي.

ْ هُزَ عمر رأسه في دهشة وقال: "برغم انتصار العدو، وتغفوه الساحق، وعلمه ودهنه، برغم كل هذا يأتي رجال قائلون يفعلون كل ذلك؟

"قلت باعتزاز: "نعم، ارستم على فجر الطاهر ابتسامة عذبة أضاءت وسط الدخان والغبار، وقال: "هم بقية الخير في دنياكم.. قد يكون هؤلاء هم المسلمين الذين لم أجد لهم رجاء في الشوارع والمساجد..." نسيت ما حولي، وشردت في عالم آخر، وأنا أُغمِّد: "هم يعيشون هناك.. في الأغوار والوديان.. وعلى...

٣٥

عمر يظهر في القدس

٣٤

كتاب الحزب
قال بعض واصبح النبرات: «علمني حبيبي أن الخوف مسيرة للجهد، وإتفاق للوقت، وإنساد للإيمن... وذل ما بعده نزل...»

ثم التفت صوبهم قائلًا: «ماذا تريدون منا؟»
- «هكذا الجريمة أنتم صانعوها...»
- «وأما عليك؟»
- «أنتم عرب أولا.. وتواجهتم هنا ثانية.. طبيعكم الغدر والتخريب...»
وكان أصعب وأنا أرى عمر يرفع يده، ويزيح بها على وجه الضابط قائلًا: «أيها الأحمق، تقيم دعائم القضاء على نوازع الشك والفلنون، وتسب أهل الدار»
وانتقد الأباذة على الخليفة، وهى لحظات وجدت يده خلف ظهره وقد غلتا بقيد حديدي، وتتسبعت طلقات لا أدرى مصدرها، فانبعثت على الأرض، وأنا في شبه غيوبية وكأنى أعمى من كابوس رهيب. وأفقت على يد حانية تمسح على رأسى. ونظرت وإذا بعمر يقف هادئًا بسما بلا قيد أو مخاوف. وهتفت: «ماذا جرى؟»
- «هانت تراهم مجندين..»
- «لا يعرف... وكلما استطاع أن أقوله أن القوة لله جميعا.. لا شك يا أمير المؤمنين أن رجال «فتح» كانوا يتتابعون المشهد المثير...»

حُطت أحاتان الأرض على قلبي الباكى.
لم أكن خائفا على نفسي. كان قلقي من أجل الخليفة يشجب كل آتانية. إن جيل الكراهية الصهيوني لا يفرق بين الأنباء والشياطين، من قديم كانوا يقتلون الأنباء، الرحمة في نظرهم بلأمة، أنا أعرفهم، والعفو لابد له من نحن كبير ياباه الشرفاء، والإخلاص ضعف أو عجز. ليست هذه أول مرة تحاصرني فيها نزاعاتهم وكراهيتهم. كثيرا ما ساقوني إلى مسارات الاعتلال، وفي كل مرة كانت تثبت براءتي بالدليل القطاع. لكن لم أكن لأخير من ظالم العذاب إلا بعد السياط والصفعات والشتم والجوع والظمآ.. وعم بأمر الخطب ضيف عزيز حبيب. لا هوية معه. يرفض الاستسلام والعنوان. من يفعل ذلك فهم لا يخرج إلا إلى القبر. أنا أعرفهم. يريدون أن يقروا على أي رجل تشي تصرفاتهم بفضيلة. أعداء الفضائل هم لكن يا عجب.. الخليفة يقف مرفوع الهامة، هادئ الأعصاب تثير الابتسامة وجهه، يتوق في عينيه الإيمن، ويبارك سماه يقين من نوع فريد، قلت له: «ألا تخف؟ الجنون والكراهية والجوع إلى لحوم الأبرياء.. تحاصرنا من كل ناحية..!»
أطلقنا على الخوف بالإيمان، وهرعنا إلى الموت فكتبت لنا الحياة...

وابلغ عمر ربته: "ولن تخلو الدنيا من الإيمان والمؤمنين في عصر من العصور...

قلت في اضطراب: "أرى أن نصرع قبل أن يدهمنا العدو...

قال عمر دون أن يعاني من أي قلق: "يجب أن نرحل عن هذا المكان الآن.

وبعد قليل استطعنا أن نركب سيارة كبيرة "أتوبيس"، كانت مقاعد الدرجة الأولى كلها مشغولة، وكان الركاب مشغولي بالحادث، وعبرنا المدخل إلى الدرجة الثانية، كنت أجد هرجًا سالعًا في أن يندس الخليفة وسط ازدحام الضغيلة، لكنه لم يبد أثني تأشف، وبيبي كان يشق طريقه إلى مؤخرة السيارة، أمسكت بيدها قتلة وقالت: "هذا هو يا إيلي"، لن أدعه يفلت مني هذه المرة، جذبها "إيلي" من يدها في عنف قائلًا: "هذا النوع من النسليه يثير في نفسنا التفزز..."

- "لكنني أريدها يا "إيلي".

وعقل أحد الساخرين قائلًا: "اعطه لها يا أخ... لله يامحسنين..."

هب "إيلي" من مقعده غاضبًا. وتوأثت نظراته في أنحاء العربة، ثم قدم إلى الخليفة، وقال والشرير يتطاير من عينيه:

ومسهع عمر على جبينه وحبيته، وازدادت ابتسامته إشراقًا واستطardu: "وانصرنا... ورد الله الذين كفروا بغيفهم لم يبالوا خيرًا...

كتاب الفتوح، 39
في نهاية المطاف بلغت منزلية، وهو
في الحي العربي القديم من القدس،
وهو مكون من شقة صغيرة ذات حجرتين وصالحة، ولم يكن يسكن معى سوى أمي التي ناهزت الستين من عمرها. رحم الله أبى. كان رجلاً صالحاً، وكان يمتلك «كتشكاً» خشبياً صغيرًا يبيع فيه المشروبات الغازية والأوراق والألبان والصحف وحلوى الأطفال. وفي «حزيران» أصابت قنبلة عمياء الكشك بمن فيه وما فيه. انتهى أبى بكثرة. تمامًا كما بكيت على إخوتي الذين كانوا في الميدان.

كان البيت، رغم تواضعه ومظهر الفقر التي ترتسم عليه، نظيفًا ماءً رطبًا، أرضه مفروشة بنوع رخيص من «الأكلية» المحلية، لكنه جميل، والبيت تغذية الكهرباء والمياه النقية، وعلى حيطانه، المطلية بالجص الأزرق الخفيف، عدد من الصور، أهمها صورة أبى الشهد. وتقديم للفجر العربي والإفطار والأفراح، وخريطة لفلسطين الماضي، ولائمة مكتوب عليها بخط كبير «الله» وساعة حائط.

أخذت الخليفة حجيتها الخاصة، وأسرعت إلى أمي: «كيف أفزك البشري؟! لن تصدقيني...»

«خير. هلى تحركت الجيوش العربية، وحان الخلاص...»

عمر يظهر في القدس
أعرف أن الكتبات القديمة كانت تستند على العظام والخشب، وبعض أجزاء النخيل والأحجار. أمسكت واحد من الكتب قائلًا: «إن به كثيرًا من العلوم. فالأحرف صغيرة، والأسطر كثيرة، وذلك بفضل اختراق الورد والطباوعة».

أبدي عمر صبرته لهذا الاختراق العجيب، واردب عجبه حينما علم أن آلة الطباعة تستطيع أن تخرج عشرات الآلاف من النسخ في وقت قصير، وأبستم وأنا أقدم له كتابًا آخر.

- هذا كتاب عنك.

- بانت السهمة في عيني وقلت: «عنى أنا؟»

- أجل...

- أي يعرفن أهل هذا الزمان...

- ربما أكثر مما عرفك الأولون.. إن لك دويًا هائلًا في الشرق والغرب، لك اسم طالب يتردد صداه في كل ضفاف من الأ사업.. أنصاري كتبوا عنك أكثر مما كتب المسلمون.. ولك عشاق ومعجبون، كما أنك أعداء وناقدين.. هم يعرفون تفاصل حياتك.. كيف كنت في الجاهلية.. وكيف أسلمت.. وصحبتك لرسول الله، والمعارك التي خضتها، وحروبك في فارس والروم.. وآراءك الكثيرة التي تعالج شتى الموضوعات.. وصلاتك بغيرك من الرجال.. حتى أمورك

 عمر يظهر في القدس 📖

- بل هل في دارنا فاخر لا يدانه فاخر...

قالت في شيء من الملل: «هل أعدك الطعام؟»

- لم لا تهتمين بالأمر؟!

- أعرف.. أحد رجال المقاومة...

قلت وأنا أحضنها وأغرق جيبيها بالقبلات: «عمر بن الخطاب».

نظرت إلي في شك، لمحت الخوف في نظري، ودمعها توشك أن تنفرط، فأشرعت قائلًا: «لست مجنونًا.. لا سوف تقوم الدنيا وتقدم عندما ينتشر الخبر.. أتؤمنين بقدرة الله يا أمي؟»

وبدا الاهتمام على وجهها، وحملت في دهشة، وقالت في شروذ: «كيف يجيب عمر إلى زمان الشيطنين؟!

- أقسم إني لا أكتب.. رأيته هناك.. سمعت كلماته.. لكاتي أن لئن من نبع النبوة.. إن شئًا كبيرًا يحدث.. وحذار أن يخالج الشك في قدرة الله.. أkü الطعام.. وافرحى يا أمي..»

وأسعت بالعودة إلى أمير المؤمنين، تاركة أمي في حيرتها ودهشتها، وفي حجرتي الخاصة مكتبة صغيرة بها بعض الكتب الدينية والسياسية والأدبية وعلم النفس والفلسفة، كان عمر يجلس فوق أريكة خشبية مكسوة بحشية مرنة. وأشار إلى صفوف الكتب قائلًا: «ما هذا؟

- مجموعة من المصنفات ذات موضوعات مختلفة..

كُتاب عن محاولة المؤذن للوصول إلى كتاب آخر عن خبراء في الدين والسياسة وعلم النفس والفلسفة.
رسول الله صدمة لم أتحملها في البداية. هذا حق. لم أكن أعرف ماذا أقول ولا ماذا أفعل، وكان أبو بكر الصديق ألمتنا إيمانًا، وأوقوانا يقيمن، وتقبل الأمر بحضاً وفهم كامل، أنتم تعرفون الكثير عن حياتنا.

قلت وأنا أقول ترددي: «ونعرف اختلافك في الرأي مع خالد بن الوليد.. والناس في عصرنا يختلفون عليه كما خلاف المسلمون في زمانكم.»

رفع عمر وجهه الطاهر إلى وقال: «كان الأمر أبسط مما تتصورون. كان خالد شجاعًا مؤمنًا، وكان قائدًا محنكًا، وجنديًا ماهرًا، هذا لأمراء فيه.. لكن ليس هناك بشت منزه عن الأخطاء.. وقد رأيت لأسباب عدة تتعلق بكئان الأمه وأمانة أن أخي خالدًا. وقد فعلت.. وتقبلها خالد، كان أمر الدين، وصلاح الرعية فوق الأفراد، مما سموا وحققوا من انتصارات.»

قلت: «وتحدثت مئات الكتب عن شجاعته وعلوته وهدته وبعد نظرك، وعزوتك عن الدنيا وزيفها وبريقها، كنت أروع مثل يضوع مسكاً في رحاب التاريخ.»

لوج بديه محتجًا وقال: «حاشوا لله» لم أكن أمرًا بالغ السمو والعفة، كنت بشرًا بكل ما تحمله كلمة «بشر» من معاني.. وكان هناك عشرات الألف من المسلمين لا يقلون عن عمر ورغة. وتقوى إن لم يفوقهم شجاعة وعدلاً وإيمانًا. الحَقُّ العائلية. تصبر.. وأيضًا استثناءه على أيدي الحاقدين والكافرين للإسلام. لست في حاجة إلى تعريف.»

كان عمر ينظر إلى وهو لا يكد يصدق، وأخذ يتحدث عن الرواة، الأمانة منهم والمتكلمين، وأولئك الذين يركبون متن الخيال الجامع، ثم تناول الكتاب وأخذ يتصفحه، وظهر لي أنه يجد صعوبة في قراءة بعض الكلمات تتغير صورة الحروف عن مثيلاتها أيام ذهوره، فطلب مني أن أقرأ صفحة من صفحات الكتاب، فتناولته وأخذت أقرأ:«.. فقد كان الغد. جلس أبو بكر في المسجد. وقام عمر بعث إلى المسلمين. عما ذكره من أن النبي لم يبت فقال: «إني قلت لكم بالأمس مقالة، ما كنت مما وجدت في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهد رسل الله. ولكنني قد كنت أرى أن رسول الله سبب أمرنا. وبيت ليكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسوله. فإن أعتصمتم به. هديكم الله به كما هداه به. وإن الله قد جمع أمرك على خيرك. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار. فقوموا فبайтеوه» وقام الناس جميعًا. فبайтеوه بيعة العامة. بعد بيعة السفينة.»

ثم طويت الكتاب. كان عمر يدهز رأسه وأنا أتول الفقرات، وكانت الدمعة تتساقط من عينيه. وتبال لحيته البيضاء. وأخيرًا سمعته يقول وهو يقفف دموعه: «كانت أيامًا رهيبة» إن موت عمر يظهر في القدس. 45

كاب ألْبَرُ (44)
إذ كن كأقلهم حفاظًا على الدين؛ لأن الحكم يجري إلى كثير من
الهبات، بل والخطايا في بعض الأحيان. وأخذ يخفف دمعة
تسربت من بين أذنيه، فكنت أرجو لقاء الله، ولعثرت بغلة
في العراق لست لها أمام الله ثم أسوؤ لها الطريق، مسؤولية
الحكم مسؤولية كبرى، ولعلها ستنتقص من موازين يوم
الحساب...

قلت في رضى: "إنه تواضع منك،
صاحب في حدة: "أنا لا أتوجه لأعلى، وأكره الزيف
والنفع، لم أكن لأهل وزر الحكم حيًا وميتاً، ولذا اشترطت
لا يكون ابنى خليفة من بعيد":
وقطع الحديث طرقات على باب الغرفة. كانت أمي قد
أحضرت الطعام فتناولته منها، ووضعته على الطاولة، وقلت:
"لا شك أنك جائع الآن":
نظر إلى الموئدة العامة وقال: "ما هذا؟ نجاج.. ولحام
خراف.. وخوارات طازجة ومطبوخة، وفواكه وبيقول،
وأشياء أخرى لا أعرف لها اسمًا...
- "وماذا نأكل؟";
- "أليكم تم وبلح...
- "أحياناً..."
ثم أمسك بشوك وملعقة وسيكين وقال: "وما هذا؟
- "أدوات تستعملها كي لا نأكل بأيدينا مباشرة".

 chămب الأثر
أمي من الداخل «لقد جاء الشياطين، أرى مصفحاتهم وسيرتهم من النافذة - ألا تهربون؟»... 

لم أكن أدرى ماذا أفعل، إنها الطامة هذه المرة، وعذرتهم تعني أمرًا خطيرًا وإن لم يجدوا «الجاني»، فستفع النكبة على رأسنا، وكيف تستطيع إثبات البراءة أمام هؤلاء البغياء؟ وفجأة تحطم الباب، ووجدتهم أمامي، امتلأت بهم الصالة... نفس الوجه... وفوهات المدافع... والعيون الحائدة التي تقدم بالشر. 

كان عمر يسير بين الجنود مشدود القامة، رائق البسما. يتميز بضع كلمات يناجي بها ربه. وكانت في الحقيقة أرتجف. ولكنه الخليفة قائلاً: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» ثم ضحك في وقته: «لم أكن أتصورك على هذا الروغ»... 

كله...

- «إنهم لا يرحمون...»
- «وماذا وراء ذلك؟»
- «الموت يا أمير المؤمنين»
- «وهل سمعت ببشر أفلت من يد الموت؟»
- «لا...»
- «ففي الجزع...»

قلت وأنا أضرب على صدري: «إنه شيء في داخلي لا أستطيع مقارنته»...
لا مرأة مثيرة، لكنك لم تخبرنا عن السلاح، والسجن يتعلّم، ويقول بصوت واهن "لا أعلم... لا أعلم..."، ويبدو المحقق إليه نظراً أربعة أرقاط، ثم يضع طرف السيف على محاذاة النص، والссجن يبتضع، لكنه مقيد ومشدود إلى القضبان، فيئن، وينعو المحقق للكلام: "الويهيرات المعادية تسلمها مثلك طالب في المدرسة الثانوية، بلبس سروال قصير، أما اسمه؟ أو أين مسكنه؟ ويهم السجن قلت لا أعلم... لا أعلم.

وعض الخليفة على شفتيه أسي، وقال: "أفرج الحق على مدى السجن في قلب بني إسرائيل. إنهم آفة العصر بلا جدال.

قلت: "يا أمير المؤمنين... أخفض من صوتك.

- هل الكلمة جريمة؟

- أجل... وخاصة إذا نبضت بروح النقد والاستياء.

تتم مستغرقباً: "فقر من فقراء العرب... دخل إبراهيم كسرى شامخ الرأس... وكان يضرب ببرمجه في بساطه... وعمر لا يتجاوز على سؤال هؤلاء اللوماء والacters المجرد عليهم؟! لا كانت الحياة...".

قلت: "يا أمير المؤمنين الأمر جد مختلف. هؤلاء متهمون بأنهم من الفدائين... والصهيونيون يعذبونهم لينتزعوا منهم الاعترافات.".

عمر يظهر في القدس
أشرق وجه الشاهب وهمت: "لكاني أرى بلال بن رباح وخباب بن الأرت. وياسر. وسمية إن في عصركم أمرًا عظيمًا. كنت أجعله... هؤلاء هم المؤمنون الصامدون حقًا.

وقد نحن أحد رجال المخابرات، والتحدي تشى به حركاتهم وملامحهم، ثم دفعني بقضتي قائلًا: "فيك تتكلم؟".

ثم رفع يده، وحاول أن يصفع عمر، ومك كانت دهشتي عندما رأت الخليفة يمسك بيد الضابط قبل أن يحقق بغيته.

ويهدى: "انزل يدك وإلا اقطعها...".

تدخلت متوجستًا خجيفة، وقالت للضابط: "معذرة... إنه شيخ كبير... قضى معظم حياته في البادية، ولا يعرف عن هذه الأمور شيئًا.

لم أصدق عيني حينما بصرت "إيلي" قادمًا، وعلى ثغره ابتسامة تشف واصحة، واقترب من عمر، وغمز بإحدى عينيه قائلًا: "أخيرًا وقعت أيها "الدون جوان".

تلت عمر في غيظ وتتم: "الدون؟ هذا الأبلي يسبني...".

قهقه "إيلي". بينما قلت مسرعًا: "لا يقصد ذلك بالتاكيد...

كلمة معنها أنك معوق الشعور...

- لا أفهم...
- أنسنيت إعجاب "راشيل" بك؟
- قلب عمر راحتته، ومسح المكان بنظارته، ثم قال: "ما هذه الأعجوب؟! أحولاء هم الذين خاربكم وانتصرًا علينا".

عمر يظهر في القدس

52

كتب الأثر
ومنظرت خلفي، فوجدت رجلًا من المخابرات مختبئًا، وسجل على آلته كل ما يقوله عمر، ثم استدار وواجه عمر، كان يودي أن يتفقد بالخفية على إخفاء شخصيته إلى حين، وأن يختار له اسمًا مستعارًا، كي تتجنب العديد من المراقبات. لقد فات الأوان، وهذا رجل المخابرات الصهيوني يقول: "إذاً فانّت عمر؟

هذا عمر رأسه في إصرار وقال:

"نعم... ولاقحلوا ما شئتم.. فانا لا أشهد إلا الله.

"دع الله الآن.. فانا الذي أواجهك...

"صباح عمر: خسأت...

وأخذ الرجل يقفسه سعيدًا، ويتمايل يمنة ويسرة، ثم يقيس عمر بنظرا له، ويقول غامضًا: "تشبهه إلى حد كبير". وأخذ يحرك سبابته متحزبًا: "أنا ولدت في القاهرة أتعرّف الأنتكخانة... نظر عمر نحو فلتت: "دار الأثار القديمة" وقتحه رجل المخابرات مرة أخرى، وهو يقول: "مكان هناك إلى جوار الموميئات والتحف... ثم تركنا وأسرع إلى رفاقه، وعاد بهم ليعرض عليهم الكشف الطيف، و"الحالة" الفريدة في نوعها، ووقف عمر بينهم عاملًا متحفظًا، ساخرًا من سفاسفهم.

"إذاً فانت عمر؟!

"ولم لا؟"

ومن في القدل:

الكبرى... لكن رؤيتي لهؤلاء الصامدين خففت عني بعض الأحزان...

إن الخلقى لم يزل يحلق في أفق النكبة العامة، ينظر إليها من شتى الزوايا والمستويات، ويمحصها ويجرسها، ناسيًا أنه متهم، وأنه قد يسال بعد قليل، ولذا قلت: "يا أمير المؤمنين... ماذا ستقول لهم؟ سوف يسالونك"}

هتف: "عمر كبير أن يأتي يهودي ثل داعر، ويفقد موقف القاضي، على تراب المسلمين.. لقد اختل شيء كبير في هذا الزمان.. أن يمسك بصريكم هنا حفنة من الكذبة والمعرفين.. ساقول أن عمر بن الخطاب.. سليّمحكن. هم يكرهونني. أعرف ذلك على عهد الرسول. ودربوا قطلي... لن يصدروا مقاتلي.. وأنا مسلم من بني عدي.. نشأت في مكة.. كنت أقوم بالسفارة لها.. كنت عدنًا عندي في حربي لعمر.. ثم أشرق في قلب نور الإسلام.. ويومنا ولدت من جديد...

قلت في قلق: "هذا لا يهمهم في قليل أو كثير، لن يصدروا، المهم الحادث...

"أي حادث؟"

"المتمجرات...

"ماذا؟ أنت تعلم الحقيقة.. لينتي فعلتها.. لا يحق لي أن أنسى هذا الفضل إلى نفسي..."
السن بعض الشيء... سيفرح بها أطباؤنا في مصحات الأمراض العقلية والنفسية...
ومال أحدهم ساخرًا نحو عمر: «حدثنا عن فتراته في فارس والروم»
- «ألا تعرف؟
- الغريب في الأمر أن قواتكم القليلة استطاعت أن تمسك بزمام الأمن في تلك المساحات الشاسعة التي يسكنها ملايين البشر!! كيف؟ هذا هو السؤال... إننا نعاني من نفس المشكلة اليوم...
وعلى الرغم من أن الحديث كان مجرد تسليه إلا أن عمر قال بصدق: «كن ذائعًا قبل أن تكون مهاجرين... أجعلنا نجري نور الله... أسعد لحظاتنا كأنا يوم أن يأتي رجل يعلن إتمامه... كنا نفرح بذلك أكثر من فرحة بالاستيلاء على حصن أو هزيمة جيش».
وتطلع عمر إلى السماء وقال: «كانت بيتيتنا أن نثبت البقين في القلوب، قبل أن نثبت أقدامنا على الأرض المفتوحة... أصبح الذين آمنوا جزءًا من جيشهنا...».
قال الإسرائيلي: «نحن حملة حضارة ملوككم...»
وقال عمر - «نحن حملة عقيدة أولًا... وفي ظل العقيدة الخالصة الصادقة... تثبت القيم الفاضلة، وتولد الحضارات ويسعد البشر...»

عمر يظهر في القدس

- والدليل؟
- قدرة الله...
- الموتى لا يبعثون
- بل يبعثون أيها الكتب... خسئت...
- ليس هذا أوان البث...
- وما يدرك لهالساعة قريب...
وقال الرجل ساخرًا: «يا عمر... لا أنكر قدرة الله، لكن حوادث التاريخ المعاصر لم تشهد شيئًا خارجًا عن سنن الطبيعة... لم تشهد مجاعة...
وذهلت إذ رأيت عمر يمسك بأذن الرجل بين سبابته وإبهامه ويقول: «هذا كلام لا ينتج قدراة الله...»
- «أنت لست فطن، تدير المحاورات بذكاء... لا شك أنك كنت دبلوماسيًا خطيرًا...»
وضع رجال المخابرات بالضحك، وأخذوا يفحوصون عمر دون أن يلمسوه. وقال رجل منهم: «هذه حالة معروفة في كتاب الطب وعلم النفس. إنه مرض من أمراض الجبن، والتصدع النفسي. هذا الشيخ يتقصص شخصية عمر بن الخطاب يزين له الوهم أنه هو، في الحروب العنيفة تظهر أمراض غريبة. الهزيمة أثرت على أعصاب العرب... وهم وصولون بالماضي والبطولات القديمة، يجرونها في ليالي الأحزان... حالة هذا الرجل المرضية حالة طريفة؛ لأنها أصابت رجلًا متقدمًا في...»

كتاب أخبار
وقد كسبت سجناء عمر، وأشار بعده إلى الساحة الكبيرة لصاح:
- "هل هذه هي الحضارة التي تحميلونها يا أحفاد حبي بن أخطب وكنانة بن الربيع وكعب بن الأشرف؟!
فمضوا بالضحك من جديد، ثم سادهم وجوه مباغتة، بينما استطرد عمر وكأنه يخطب في جمع من الناس.
- "انتصرتم في معركة واحدة، فألتم الدنيا ضيجيًا ودليتم الأبرياء على أعواد المشايخ، وعلقت المظلمين من أرجلهم كالإبل الذبيحة. أما نحن، ويفصل بيننا وبينكم أربعة عشر قرنًا من الزمان، فقد غزونا العالم بالنور، وغيرنا بالبيتيف، لم يتدلل مظلة على سارية. ولم تزهق روح بلا جرم. ولم نغلق أفواه أحد. كان كتاب الله يحكم لنا أو علينا.
وساد صمت. ثم تقدم رجل آخر من عمر، وسدد إليه نظارات دهشة وقال: "ليس هذا بكلام مجنون... أقسم على ذلك ابتنم عمر قائلًا: "الكلام يشتي بسر قائله في كثير من الأحيان." 
أردف الرجل: "إنه يحاول خديعتنا، وأظنه أحد زعماء المسلمين الروحيين، يرتدي زي خرافة...
رد عمر في ضيق: "استحالذ نكاوك إلى خرف ممتهن... أنت المجنون.
احتفق وجه الضابط وصرخ: "أين وجدتموه؟!"
عندما وقفنا أمام مدير السجن قال لنا وابتسامة صفراء
تهوم على شعره ذي الشفاه الدقيقة: «مبروك.. لقد ثبتت
براءتكما.. وأمسكنا ببعض الجناء.. ولقد صدر أمر بالإفراج
عنكم.. يجب أن تشكروا المواطنة الإسرائيلية راشير.. إنها
مواطنة شريفة».

وبرتوني موجة من الفرح، لكنني سمعت الخليفة يقول:
»أوين هؤلاء الأ.. الجنة».. لتش ما أنا متتشوق لرؤياههم
»أمسكت بيد الخليفة في رقعة، وتلت ضارعاً: بالله عليك.. هيا
بن.. فهذا مطلب عسير التحقيق.

تلك التي تنتمب لمنظمة نسائية عربية، معروفة بنشاطها الكبير،
بالاختصار.. كانوا يعرفون عنهم أكثر مما يجب
	تأملت كثيراً لوقت السياط.. وخاصة في البداية. إحساس

بالظلم كاد يذهب عقلي، وشعوري بالعجز آنفسى أشد
الإيذاء.. العجز مأساة حارقة.. آه، لن تنفيت لي الحياة فسوف
انتقم لهذه الأحزان القاتلة.. الأنتقام للمظلومين والمتعذبين من
جلاليهم حق مقدس.. وعدت إلى الزنزانة.. لم أستطع النوم،
كانت جراحى النفسية أشق وأقسى من جراح جسدي الذي
يرصخ بالألم الهائلة..، وكان عمر يجلس إلى جواري، ويربي
على رأسي في حنان، ويجفف دمائي بطرف ثوبه الأبيض
التبويب، فتأشير براحة كبيرة، وكتبت أن تطلع إلى وجهة الظاهر،
وأتذكر أنهم سوف يقتادونه في الصباح إلى الساحة المعرونة
وأغمض عيني حينما أتخيل السياط المجنيون الكافرة وهي
تهوي على وجهه.. وأصرخ «مستحيل.. مستحيل» فيقول في
إشفاق: «ماذا بك يا ولدي؟»، فأقول ودمعي تنثر: «لا
أتصور أنهم سوف يذيعونك»، فيتتم: «وما يعمل جند ربك إلا
هو»

العجيب في الأمر أنه في اليوم التالي، وحوالي الثانية عشرة
والنصف ظهرًا، وكان الخليفة يؤدي صلاة الظهر إمامًا بعد أن
تيمت لعدم توافر الماء. جاء شرطي صهيوني، يثنى الأصل ثم
نادي عمر.. وذهبنا باسمى أنا الآخر..
الخلاص في مثل هذه المعارك العنيفة، فقدلت له: "أي أمير المؤمنين، نحن دولة ممزقة.. أحلت أرضها، وتشريد شعبها في كل واحد، وليس لنا حكمة ولا أمينية ولا أجهزة إدارية.. فلسطين الآن مجموعه من المشردين أو المحاربين أو السجناء. إننا نعمل ما هو فوق طاقتنا.."

هذ كفته في رفض وقال: "ما هي فلسطين؟ أليس رقة صغيرة من أرض الإسلام؟ وأين بقية المسلمين وحكمهم؟ أنت تتكلم كلاماً غريبًا، حتى لكان الرابطة العقيدة قد تمزقت تمامًا".

قلت: "البعض يمدوننا بالسلاح، والبعض الآخر يعود علينا بالمال، وكل هذا للمجاهدين، وبعض الدول تفتح الباب لإخوتنا ليعملوا ويرتزقوا.. وهناك دول تقاسي مثلما نقاسي من عدوان ومتاعب".

وبذا لعب أني نتناقش الأحداث بطريقة هريرية ونلتمس المعاني لالانحراف والتصور، كان اقتناه الكامل بأن الأمه كلّ لا ينجز، وحدها صلبة.. الطعام فيها لجميع المسلمين، والرجال في كل أرض أفراد في جيش واحد وإن اختفت اللغات والألوان، أو نات الديار، ومسيئلاً أي حاكم مسلم نحو شعب فلسطين المهزوم تضاهي مسؤولية تجاه أي فرد من شعبه، وتمتمنى دون وعي وأننا أستمع لكلمات الخليفة: "أحلام".

وأنا: "ماذا؟"

ومضينا في الطريق العام بخطى ثابتة، كانت تتقلص النذرارات، وتحاصرنا المشاهد المؤلمة، لكنني تذكرت كيف نجينا من هذه الكربة الطاحنة، فحمدت الله، وسجدت رحيق شكرًا له، ماذا لو سارت الأمور في مجراه المعروف في مثل تلك الاتهامات الجزائية؟ وخيل إلى أن عمر مؤيد بقوة علوبه قادرة على إزالة العقبات التي يضعها الأعداء في الطريق، وذا فكيف أفسر ذلك التصرف من "راشيل"؟ كيف يقضي الخليفة هذه الفترة في السجن دون أن يمس بآديه! كان عمر يمضي مطرقاً ساهماً حزيناً، لا يكاد يعبر أي شيء في الطريق أدنى اهتمام، قلت:

"ما يكربك يا صاحب رسول الله وقد نجينا من ظلمهم؟"

نظر إلى غابتي، كانت نظرة تحمل العديد من المعاني، وأخذ يقول: "تركنا في ظلام السجن وراءنا عديدًا من الأبرياء.. مال أحدهم علي هامش: ساعدك عنوان أختي المسكينة التي استشهد زوجها معنا هنا، كي تعطيها بعض المال.. فلم لا أحزن.. كم أمراً وكم طفلاً وكم شيخًا الآن يقاسون الحرمان والجوع!!".

وأخذ عمر يحدثني عن واجباتنا نحو الأسر المتعسة، وينهي باللائمة على تحيج قلوبنا، ويؤكد أننا نفتقد التناسق والتكامل
- "حضارة عصركم تد أجنحة مشروهة .."

ضحكت في حزن: "وفينا من يحاول خلق الأجنحة في أنتابي ..
اختبار .."

في كل لحظة يكتشف عمر جديداً مثيراً أو مخزناً أحياناً،
فندمدا على وجهه الكريم الغم والكرد، كان أشد ما يوله أن
أناقشته أمرًا يبدو له بسيطاً غيرًا السباق، ولهذا ما كانت تحزنه
أفكارنا العميقة المتصلة ازاء تلك البدائيات، وكان يرد دائمًا
أننا مخدعون، وأننا نهتف بالمبادئ فأنا هنا ولا ننتميها، أو
ندعبها تسري في قلوبنا وأرواحنا ..

ثم انتزع نفسه فجأة من سيل الحوار العاصف وقال: "مال
علي أحد المحبوبين وقال: "الأمانة في جوف المقدمة،
هناك .. عند سور باهر .. حاولت أن أفهم كلماته فلم أستطع
استفسرتي منه، فأناش بوجهه يائسا .. قلت لنفسي لعله يهدي
لما اكتشف من آلام وأرق .."

توقفت عن المسير، وهتفت في اهتمام: "هل قال ذلك
حقًا؟ .."

- "عبير أمير .. أنا لا أروع إلا ما حدث .."
- "هذا نيا سار .. كنا ننتظر هذه الرسالة منذ وقت طويل .."
- "قال في دهشة: "أية رسالة؟ "

عبير أمير

- "معذرة .. الواقع المرير يجعلني أهدي .."

هتف في حدة: "ولم ياس؟ تلك حقيقة الدين من قديم،
واقع التجربة الرائدة في التاريخ .. انظر .. لقد أثبتت بالأجانبية
على مستوى الفرد والدولة .. لا تحظون بكل القيود
والسند .. امتهجوا .. تأخروا .. ودوسوا الأسلاك المشائكة التي
تفصل بينكم .. واحفروا قبرًا لكل بادرة من بوادر التفرقة .."

لم أستطع السكت، بعينه له الدول التي اعترفت بإسرائيل
وتبادلت معها العلاقات الاقتصادية والثقافية والتجارية،
وأرتبنت معها بأواصر المنفعة والصديقة، قال: "انحراف
الراعي من صنع الريعة .."

- "الرعية لا حول لها ولاقوة .."
- "يا عجب .. إنه بدونها لا يساوي شيءًا .. لا يحقق نصرًا .."
- "الرعية يا أمير المؤمنين تؤمر فلتبتعد .."
- "والحاكم؟ أهو من طبقة أخرى غير طبقة الناس .. أه ..
وقف رجل في المسجد وصاح .. والله لو رأينا فيه يأبى عمر
اعوجاجاً لقومنا بسبيفنا .. ومحمد الله لأن في الريعة، من
يقومني بسيفه .. أه .. ويتكلمون عن الحرية والحضارة والتقدم
في عصركم .."

قالت في أسو: "كان ذلك في عمر .."

صاحب في حدة: "لكن عمر ليس شيئا .."

- "كنتم إسلاماً يمشي على الأرض .."
أنا إن سقطت فتحم مكاناً يا رفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي لا يرัก بي يسهمل مع السلاح
وانتظر إلى شفتها أطبطاً تراها هوج الرياح
وانتظر إلى عيني. أغلقتا على نور الصباح
أنا لم أمت... أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح
وفاعجنا وجدنا أصابعنا، لا أدري من أين جاءت. قالت راشيل:
«كنت أقرؤ خلفكما وألهث...»
اعتراني شيء من الضيق، فهفت: «ماذا تريدين؟»
أشارت باصبها المضخوم نحو الخليفة قائلة: «أريده هو...»
نظر عمر إلى وجهها الفاتن المغطى بالمساحيق والألوان،
وشعرها الذهبي المتناص، وأغمض عينيه حينما وقعتا على
صدرها شبه المكنتوف، ثم أشاح بوجهه كلياً وهو يلاحظ أن
فيستنها فوق الركبة. ويكشف عن ذراعيها...
- «أذربي أيتها الفاخرة... ماذا تريدين؟»
قالت وهي تترابط كطرفاء مشاركة: «لقد أنقذت حياتك»
- «أنا لم أجرم...»
- «لا يهم... كثيرون من الأبرياء يلقون حتفهم... ألا تعرف؟»
- «ثم ماذا؟»

- تلك رموز تعرف معناها، لقد انتظرنا حمل الرسالة
طوال هذه الفترة دون جدوى، فرجحنا أنه قتل أثناء عبور خط
النار... بارك الله فيك يا أمير المؤمنين...»
قال عمر وقد تبنت على وجهه علامات حب الاستطلاع
«لم أفهم بعد»
- «إخوتنا في الخارج أرسلوا لنا كمية من السلاح،
وأخفوها في مقابر منطقة يقال لها "سورة باهر". وسوف
نادر بالذهب إلى هناك، واستحضارها للبدء في التنفيذ...»
ابتسم عمر، وقال في فرح غامض: «أنت تتعملىون...
واضفرون... وتتصارعون بحذر... ثقوا بالله والنصر آتيكم...»
ثم التفت إلى نجاة وقال: «أنت أند الحفائزن؟»
طاترات راسية في خجل، ولم يستطع أن أنطق، أو حاطني
بمساعدة القوي. وضمني إلى جواره، ثم مال على رأسه وقبلها
وتمتم باسمه: «لو علموا ذلك في السجن لفصلوا رأني عن
جسدك...»
- هزني النبا، لكنما عثرت على كنز طال بحثي وتنقيضي عليه،
عندما أحمل السلاح في يدي، أشعر أن هامي تتطارر
حتى تعانق السحاب، أشعر أنني حر، وعندما أموت فوق سلاحي
ترف ابتسامة حلوة هائمة على ثغرية القوة العادلة المحسّبة
بين نوع كرامية لا توصف، وعزاء للناضلين الشرفاء... و أخذت
أتتمم ببضعة أبيات من الشعر كان يحلم لي ترديها:
وأنا واقف أربى المشهد المثير لا أعرف كيف أفعال الأمر. ثم
مد عمر خطاه الواسعة. وهو يجريني من ذراعي، ومضينا في
الطريق تاركين وراءنا للغطاء والأعمال الاستهلاك.
- لا أكاد أصدق ما تلقى عليه عيني.
قالها عمر وهو يغذ السير غاضبا، قالت: جانب من عالمنا
المائم بالأعمال.
- "أنا شيخ ناهز الحسنين، وهي صغيرة السن، وعندها
الآلاف من بني جنسها. بيبي وبيبي فراسخ من تنافس الفكر
والأخلاق. تاريخ كام يفصلنا.
قلت متعاطفا: السينما والروايات الغرامية صنعت عوامل
كثيرة من الزيت الإغراء.
- كيف؟
- "لا أدرى كيف أشرح الأمر. بيعة جديدة عن حب الفتيات
الصغيرات للكوكايين والشيوخ. لوليتا. وشعراء فتاة الخمس
عشرة. وأفلام باريس ودوليود. هكذا. بدع الحب
والأزياء. المسروقة تؤثر في جيل. حائر متهور يلهث وراءه
النسوة كي يرتدن ابتكاراته الغربية. ما أكثر بدوع أوروبا،
وتجار الصرهونية!
ضرب عمر كفا بكف: لم أفهم شيئا يذكر.
- "هي تحكي أيّا كان السبب.
- تريد أن تزوجني؟"
ليس الزواج بالضبط...
«ماذا إن؟»
- صداقة..معاشرة.. علاقة من نوع ما بين رجل وامرأة تريده...
قال وهو يضع سبابته على فمه: «علاقة! بين رجل وامرأة دون رباط شرعي?»
- تريد أن تستمع بحق الزواج دون زواج...
أشاح عمر بوجهه وصاح: «أعوذ بالله! لقد دفنا ذلك مع الجاهلية.. كانت الجاهلية أرحم، كان العهر يستتر في البيوت، لكنه اليوم في الشوارع، ومحيمه القانون.. إن عالمكم يسمي الأشياء بغير أسمائها.. لم لا تكون إنه زنا ودعاة..»
- إهست شجاعًا: «أجل... ظهر الفساد في البحر والبحر بما كسبت أيدي الناس..»
- تلك مبانيهم يا أمير المؤمنين.. الفتاة في عصرنا تولم لصديقتها في بيته تحت سمع وبصر أمرها وأبيها.. ولا حرج أن تذهب معه في رحلة أو نزهة.. لكن، والحق يقال، كثير من المسلمين لا يرتكبون هذه الآثام..»
رمسي عمر بنظرة دهشة: «أنت تتكلم ببساطة مذهلة، وهذا غريب،دون أن يثور الهم في عروفك.. نحن ما نتبصكم الاشتعال المقدس..»

عبور يظهر في القدس (71)
سيهم في يوم من الأيام قصور الهم والتعيم... يارجس العصور... وмиاءة التاريخ...

اقترننا من المنزل مرهقين مكدودين، وألام السياط تعاونين، ورأسي يدور من قلة النوم، وعنف الأحداث، لكن سيارة أجرة سوداء تعرض طريقنا، وتنزل منها امرأة مشتغلة بعباءة سوداء ضافية، وعلى وجهها شال شفاف أسود، ووقفت قبالتنا، فصحت مبهورة: "راشيل...

وذهشت عندما سمعتها تقول: "لا تشك في أمري، لقد ارتدت زيًا يليق، أعترف أنك ممن يرفضون بدرج النساء... أيها الشيخ أنت لا تعرف مدى ما أثرته في من فضول... حسبًا لنكن أصقاء... لقد ضربتني مرتين... هذا أمر غريب... امرأة تريد أن تناقش وتفهم، هل في ذلك عيب؟

هتف مستغربًا: "وكيف تأمنين على نفسك مع رجل قد تراوه أمنيات طائشة؟"
قال رافعا حاجبه مستغرباً: «ماذا تعني؟»
- لا أبشر بكلمة واحدة من قيود الدين، كل ما يهمي في التوراة أنها تجاوزت مع آمالنا السياسية في الوطن والخلاص وما عدا ذلك فلا أؤمن بشيء....
حملت «راسيل» مذهولة، عندما أكد لها عمر أن التوراة حق وله يؤمن بها وأن «الإنجيل» حق وأنه يؤمن به، وأنه لا إسلام ولا إيمان بدون الإقرار بالكتب المقدسة كلها، والرسل والأنبياء جميعًا، لانفرق بين أحد من رسله سبحانه، واستطاع في شرحه لها كيف أن الدين عند الله الإسلام، وأن الإسلام هو رسالة جميع المcrollين منذ آدم حتى محمد عليه الصلاة والسلام، لكنه استدرك قائلًا: «لكن أين التوراة الحقيقية؟ لقد أضاعها أحباءكم ثم مسخوا كلمات الله، واختاروا أقوالًا ما أنزلها الله!»: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا عن الله، فويل لهم مما كتبهم أباؤهم وويل لهم مما يكسبون ولم ينج الإنجيل كذلك من العبث وأهواء المنحرفين....
- إنني أثق فيك
- وأنا أرفض هذه الصداقا المشبوهة
- أدينك بأمرك بذلك؟
- ديني يأبرنزي بالله ألقني بنفسك إلى التهلكة وأنا أقترب من الشهبات، وأنا أجلس نافذ الكير.
قالت بأسلوب مستفسرة: «ناوخب الكير!»
- أجل... لا تعرفين الحداد؟
- إن هدفك هو المعرفة...
ضحك عمر: «ألدى المجنون معرفة؟! هكذا قال بنو جلدته»
- أنت زعمت أنك عمر بن الخطاب
- وماذا في ذلك؟
- وما عهدنا شيئاً كهذا... العظام تلي، الإباء تحمط إلى شظايا، وانسكت المنتوى.. ومضت أربعة عشر قرنًا من الزمان... كيف تعود الحياة؟!
- كما حدث لأصحاب الكفه، وجرى لعاصر وأدم مم خلق؟
- آدم...
- إن الله على كل شيء... كل شيء... أفطهمين؟
- إنها إحدى بديهيات العقائد... لكن الناس لا يصدقون في إيمانهم بها... أنا يهودية... لكني ليست متدينة...
ومع أن عرض على باب العلم والهداية في وجه أحد...
وهتفت في صدقة: وأعلم يا أمير المؤمنين أنني لا أتمنى لشيء... وهذه هي ترتيب برضي فكري وروحي.. فلسوف أتمنى على الفور...
- الصراحة تعجيبني، ما كرهت في أسلافك إلا الكذب...
- والتفاق والغدر...
- فلنترك للزمن الحكم...
- زمجر في غضب: الحكم لله.. ما هذه العبارات السخيفة التي تحدثون بها...
- عفو... ليس من السهل الإقلاع عن عادة متصلة والآن ماذا قلت؟
- موافق...

الحق أنني أزعم أني انسعاج لإشراك هذه الفتاة الطائشة في حياتنا، أخذت أشرح للكفيدة خطورة ذلك، ونكرته بيثها وسرعة تقلباتها، إن طرافة التجربة قد بكرتها، والإثارة الكامنة في الموقف قد دفعتها دفعًا للخوض فيما ليس لها، هي تريد الاكتشاف والبحث والتجربة. لكنه أزاحني عن أنيه في رفق وقال: أنا لا أخوف إلا الله، ما جئت لتأكل كلماتي، أو أؤذن بها في الظلم، ليكن لها ما تريد .. عمر لا يرهب أو يخجل من إعلان كلمة الحق، ولو حاصرتني طائراتهم من كل مكان، 

ومع أن عرض على باب العلم والهداية في وجه أحد...
وهتفت في صدقة: وأعلم يا أمير المؤمنين أنني لا أتمنى لشيء... وهذه هي ترتيب برضي فكري وروحي.. فلسوف أتمنى على الفور...
- الصراحة تعجيبني، ما كرهت في أسلافك إلا الكذب...
- والتفاق والغدر...
- فلنترك للزمن الحكم...
- زمجر في غضب: الحكم لله.. ما هذه العبارات السخيفة التي تحدثون بها...
- عفو... ليس من السهل الإقلاع عن عادة متصلة والآن ماذا قلت؟
- موافق...

الحق أنني أزعم أني انسعاج لإشراك هذه الفتاة الطائشة في حياتنا، أخذت أشرح للكفيدة خطورة ذلك، ونكرته بيثها وسرعة تقلباتها، إن طرافة التجربة قد بكرتها، والإثارة الكامنة في الموقف قد دفعتها دفعًا للخوض فيما ليس لها، هي تريد الاكتشاف والبحث والتجربة. لكنه أزاحني عن أنيه في رفق وقال: أنا لا أخوف إلا الله، ما جئت لتأكل كلماتي، أو أؤذن بها في الظلم، ليكن لها ما تريد .. عمر لا يرهب أو يخجل من إعلان كلمة الحق، ولو حاصرتني طائراتهم من كل مكان،
قال في اشتماز: "إنني أحتضن هذه الاتجاهات الغيبية السخيفة."

- "أنت تدعو أحلامي بحماكتك، وتندخل فيما لا يعنك."
- "كيف؟" 

زجرت قائلة: "لست جارية لك، إن لي ذاتي وأشواقي الخاصة، تريد أن تمتلكني وتجرب علي أفكارك، هذا ليس حبًا. ركب أمامها، وسألت ضراعتها الذلالة: "يا حبيبي،" 
بالله عليك لأтурم حلمانا جميل من أجل وهم طارئ، أو نزوة عابرة. تذكرى الأيام الحلوة، ورائحة الشواء والكرز، في الحارات الهادئة الخضراء. وتذكرى لقاءنا الخالد عند الهيكل يوم اختلتنا القدس وطردنا العرب، وتعاهدنا على الزواج، ورقعنا وغنينا في ساحة الأقصى، وشربنا حتى نصلنا..."

دفعته مستفكرة وقالت: "أصبحت أشمتز من هذه الذكريات، إنهما الأمور. لم أعد أحبك، هذا شيء خارج عن إرادتي، ففي ضراعه، أم تريد أن تجري من شعرى إلى الجحيم كما تفعل بالعربيات المتهمات؟" 

وشردت ثانية، وأخذت تقول: "كان للنصر مذاق حلو، آنذاك، لكنه لم يظل، كان شيء ينتهي بسرعة، لم أحظ بالسعادة الدائمة بعد ما زالت أماني القلق والأرق والحيرة، طبول النصر تصدع رأسى، أكره الغابة، وعروش، أكره الغابة..." 

- "كلمات لم أسمعها منك منذ تعارفنا..."
- "قالت ممتعبة: "هناك أوقات يجب أن يخفي فيها إلى نفسه" شملها بنظرة مستغرب وقال: "ما هذا الذي تلبسين؟" 
أهو بدعة من بدعة "كريستيان ديور"؟ 
قالت ساخرة: "بل هو ستر للبديع الرخيصة..." 
- "وماذا جرى لك يا راشيل، هل أنت متعبة؟" 
ألقت بنفسها فوق مقعد مريح، وأستندت ظهرها إليه، ووضعت ذراعيها على جانبي، وقالت وهي تحملق في السقف: "كان حلمي النظرة، وانغاث الكلمات، محلفًا بأنك رأى النصر الحارج. تذنبي حركاته وإشاراته، بسيطًا في ذها، متواضعًا في رفعة، خاليًا من عقد الحصر ونقاشيه. همت أكثر من مرة أن ألقى بنفسي على صدره العريض، وأتسنم عبيره، وتنميت أن تعتصمي دراعاه، وأن أبني بحرا راية..." 
كتفه، لكن قوة خفية كانت تتحزني. وتشعل تحركي: "دق "إيلي" الأرض بهدائه، وصح في غيظ: "ما هذا الهذيان؟""
- "إني أغى ما أقول..."
- "كانت تصرفتات دائمًا تتسم بالغرابة والشذوذ..."
- "وأنثى دكتاتوري النزعة، ترمي من لا يلتزم برأيك بالخيانة والغدر والجهل... أنت رجل مخابرات بالسليقة..."
قاد الشهوب وجهه وقال: «متى؟»
«اليوم في الصباح.»
ثم قال: «رغم الازدراع لم يكدرني اغلب الناس وانت بتتعرض لمهمتي المقدسة.»
«ابتسم في حيرة: «إذا كنت في مهمة رسمية.»
«ربما.»
بدأ الغضب على وجه الشهوب، كان في داخله ثورة عازمة،
بدت في رععة يديه، وتارجع غباره، لكنه كظم غضبه وتداول
صحيفة وكتابا كانما معه، وسلسلة ذهبية، ومذياع صغير.: ثم
انصرف.

والموجوحة. آه.. كنت أبحث دائمًا عن شيء لا أعرفه.. في
أعمالي تهي خالد.»
قال في شرسة وتحد، وقد نهض: «لكني أعرف، وأنت
أيضا تعرف.»
«أحلامك نفسك في بحر الشهوانات
الجامعة.»
«أحلامك ذلك الرجل باي ثمن.. وسوف تعلمته بعد
ليلة واحدة.»
أتدار له ظهرها، ثم ضحك في توتر، وسرعان ما
استدارت نحوه ثانية وهي تقول: «ليه يقلني خادمة عند.»
«هذة التكزبات الرومانية.. إنني أكرهها.. أكرهها..»
«أيها التمس أن لا تتعلم ما يعتمد في داخلي.»
قهقه ساخرًا: «رغبته مسورة، في جسد محموم.»
إلتبع ريقه وقال في تحد، وقد تصب عرقًا: «حسنًا..
لسوف أقضي على هذه الخرافة بطلبة من مدرسي.»
«أنت القل؟»
«أنا، لا أستطيع الوقوف أمام هذا الانحدار والحماقة
طويلا.»
قهقه في توتر وقالت: «لن تفعلها.»
«لدي السلطة الكاملة كرجل مخابرات، ولي تعيني
الحيل.»
قالت بصوت ناعم متفائل: «وأنا مكلفة من قبل رئيسك
بالمخابرات، كي أكتشف الرجل وأبحث عن هويته وهديه.»
جناحيه إلى هذه الأفاق المثيرة... إن مثل هذا الاكتشاف يذهب الحواجز والحدود، ويكسر من المسافات... ما كان هذا المخطر لنا على بال.. قدرة الله وسعه كل شيء، وأنتم للاكتركون جلال هذه النعم، لا بلغنا بعض هذا الشأن، نلحن الأمّ ناسدة لله شكرًا، ولكنكم برغم هذه الآلهة، تلفون في الإثم والفجور.. تستطيع أن تتمتعي هذه الوسائط إلى الخير والفضيلة، وتستطيع أن تجعل منها مركبتًا للنساء...«

وابتسم في رضى وهو يقول: «صاروخكم أو بعض طائراتكم تقطع المسافة بين مكة وبيت المقدس في وقت قصير.. ونتساءلون أكان إسراي السرال بالروح أم بالجسد.. لو كنت مكانكم لما أصابني أغني شك في إسراي السرال بروجوة ووجسده..»

أمسكت بالصحيفة، وأخذت أقرأ عناوينها بصوت مرتفع، «الدول الكبرى لم تتوصل إلى حل لمشكلة الشرق الأوسط»، «أوستنپت يصرح بأن على جميع دول المنطقة الالتزام بقرار مجلس الأمن»، «اشتباك بين الفلسطينيين ودورية إسرائيلية في الجليل الأعلى وغور الأردان»، «تبادل إطلاق النار في خط المواجهة بقناة السويس»، انفجار كبير في القدس.. أحد المتهمين العرب يزعم أنه عمر بن الخطاب.. «وقد تلمي» ثم صورة للخليفة وانا إلى جواهره!! أصبح الأمر مشاغعا، وتصبح

عمر يظهر في القدس
83
القصة على كل لسان، قال الخليفة: «أهذى صورتي، إن راسمها بارع...»
- هذه الصورة من صنع آلة صغيرة
- آلية صماء!!
- أجل، وعمل وفق نظام دقيق
- ألا تصربيها الخلل
- البالطبع...
- كنت أناقش الخليفة وأنا نهب للفكر والقلق، سمعته يقول:
ماذا كتبوا عني؟
همست في خجل: «نفس السخافات التي رددتها المخابرات الإسرائيلية»
هزم رأسه قائلًا: «يرموني بالجنون»
(فليقولوا ما شاءوا، فستغشي الحقيقة أعينهم)
لم يضايقه الأمر كثيرًا، أما أنا فقد أوجست خيفة، لسوف يتقاتل الناس من كل مكان ليتسلون بالأعجوبة، وليشهدوا المعجزة، وهذا سيحاصرنا بالفضل من كل مكان، ويعوق الخليفة عن القيام بواجهة.
وهتف الخليفة: «لو بلغنا من العلم الدنيوي ما بلغتم، لما استغرقت هدایة العالم منا أكثر من بضعة شهر، وأخذنا بيد الناس إلى الجادة.. وليبدو أن زعماء العالم اليوم لا يستغلون ما وهبهم الله من قدرات إلا لجبركم إلى الانحراف والخنوع

عمر يظهر في القدس

85

كتاب الخلق

84
الصور الملونة التي تبرز أحساء الإنسان وأجهزة جسمه المختلفة، واتسعت حدقاتا دهشة وهو يرى هيكلًا عظيمًا كاملاً معلقاً في ركن من أركان الحجرة، وهمس: «أيمن أن يحدث ذلك!»

- «إنه هيكل حقيقي»...
- «من صاحبه»...
- «عبد من عبيد الله»

تعمم في ألم عريق: «ذهب كل شيء، ذاب الجلد واللحم، وتبتخر الأحشاء، وماتت الرغبة لا جموح ولا تمرد. لم يبق سوى نظام نخرة لا حراك بها».

واخذ يستغرف الله وحوله، ثم استطرد: «كانه قطع من خشب، تعرت من كل كبريء»

وتمتم في أسي: «تزينون قصوركم بعظام الموتى»...
- «حتشش الله، إنه شيء للتعلم والدراسة»...

وبدلت فتاة مشوقة القوام، رائقة البشرة، حلوة السمات، تغطي رأسها بغطاء أبيض، وترددي زياً محتششًا سابقًا، لا يبدي سوى جزء من عنقه وديها والجزء الأسلف من ساقها، وعلى وجهها ابتسامة وادعة يوضيحي حزن غامض واقتربت من عمر، وهي ت تعد بدلاً بمقياس الحرارة، فامتع محتشها وهو يقول: «أهذا هو الطبيب؟»...
- «بل الممرضة»...

قال في كلمات متقطعة: «كنا على عهد الرسول نشرب منقوماً لبعض الأعشاب بعد غليها، وسرعان ما كانت تختفي الألم»...

وذكر عمر اسمًا غريبًا لبعض الأعشاب لم تسمع به من قبل، وفكرت في تصفح قاموس اللغة الذي أمتلكه، لكن حاولت إقناع الخليفة بأن زيارته الطيب لابد منها، وهي لستغفر سوى بضع دقائق، وبالطبع أعطيته فكرة عن الطب وتقدمه في عصرنا، ومجالات الجراحة والعقاقير والتخصصات الكثيرة، والسنوات الطويلة التي يقضيها الطبيب لكي يتال إجازته...

وكان واضحًا أن الخليفة لديه رغبة دائمة في التعرف على كل جديد، ومحاولة اكتشاف كل شيء يقابله، وكثيرًا ما كان يقول لي أنه لكي تصدر حكمًا في أية قضية يجب أولاً أن تلم بكل أطرافها، وتصورها ومكانك تعايشها...

وعندما بلت منا إلى إحدى المستشفى العربي بالقدس القديمة مال عمر نجوي قائلًا: "أببهم صهبونيون؟"
- «لا»...
- «وهل تتق في هؤلاء الأطباء»...
- «كل الثقة، ولي بينهم أصدقاء»...

جلس الخليفة على طاولة الكشف النظيفة البيضاء، وأخذت عيناه تدران في أرجاء الغرفة المكيفة الهواء، ويرقب الأضواء المشعة من السقف حيث لمبات النيل الصافية، وينظر إلى...

عمر يظهر في القدس ٨٧

كتاب النوم ٨٦
قال الخليفة في عتاب: «وكان له هذين، لم يكن من العدل أن تم دون حساب عسير.»

أجاب الطبيب باستبادمة مقنعة، ثم أخذ في الفحص الطبي، أثب إلى المساس على صدره ورقبته، وأما أخر يضطغ بيداه على أماكن مختلفة من البطن، ثم أخذ يوجه بعض الأسئلة المتعلقة بالطعام والشراب والهضم، وحركة الجهاز البولي، ووقت ابتداء الأعراض وصفاتها. أسئلة دقيقة شاملة لكل شيء. وتتتم عمر: «هل عرفت الداء؟»

- «أجل، لكن لا بد من إجراء فحوصات مخبرية تتعلق بالبول والدم والبراز، وقد تحتاج لصورية بالأشعة السينية.»

ابتسم عمر برغم الآلام وقال: «لا أعرف معنى لما تقول، لكن.. أنت متسرعون في كل شيء، إلا تخفيف آلام البشر..»

وتوقف الطبيب فجأة عن الفحص، وأطل النظر إلى وجه الخليفة وUTF-8: «يخيل إلي أنني رأيت صورتك اليوم في الصحف.»

هز عمر رأسه ضاحكا وقال: «أجل.. أنا مجنون الأمس. يا عالم الفضائع!»

قال الطبيب: «إنها فريدة رومك بها، الصحف الإسرائيلية خاصة مولة بالأكاذيب والقصص المثيرة...»

ماذا تريد مني؟»

قالت باسمة: «لابد من تسجيل الحرارة والنبض وضغط الدم».

وتurtles قائلًا: «هذا هو الأساليب المتتبع يا أمير المؤمنين لا مجال للاعتراض...»

- «لا استطيع أن أسلم بكل ما تعملونه، يجب أن أفهم أنهم أنريدون تخفيف آلامي مقابل امتحان خلقى وكراامتي؟»

وكان لا بد أن أشرح له ما يغضى وأقنعه بما يجري، وسرعان ما فتح فمه، ثم أطبق بشفته على مقياس الحرارة، وبعد أن تم أخذ الحرارة قال: «لماذا لا يقوم رجل بهذه المهمة، أليس من الأوقاف أن تخصص هذه الفئات للمرضى من النساء..»

قلت في دموع: «ألا يجوز أن تقوم النساء بذلك كذا؟»

- «لا أعني ذلك.» بعض نسائنا اشتركن في الممارسة، وحملن السيوف، وضمنن الجراح. لكن نساءنا كن غير نسائكم، أنتم تسجرون استخدام الرخص، وتتفرون من الفروض...»

 جاء الطبيب بعد وقت قصير صامتًا، وإن ابتسم بحكم العادة، فقلت لأبد الوعكة والوجود: «طبيب من مصر.»

التفت عمر إليه قائلًا: «أر تذكرون عمرو بن العاص؟»

ابتسم الطبيب، ثم شرد بنظراته إلى بعيد.
لهجية عاجلة.. هذا المرض في كبار السن، يحتاج إلى تدخل سريع..

دق قلبي، وفاجئني اضطراب، مغا، ماذا لو مات الخليفة أثناء العملية؟ الحدث الكبير ينعته هكذا بسرعة، وتجهض أمالي عريضة، أي إزعاج أعيني؟ قلت: "يا صديقي الطبيب، ليس هناك بدائل للجراحة?"

- "لا أقسم...

تدخل عمر قائلًا: "لا تزعمين الألم كثيرًا، وما دام الأمر ضروريًا، فإن قضاء الله لا أفلاك منه.. إنني أقدر من قدر الله إلى قدر الله..."

همس الطبيب: "لن تشعر بآدمي ألم، فستستسلم لنوم هادئ عميق.

دمهش الطبيب حينما سمع مرضا يقول: "وما وجه الفرابة في أن يكون عمر؟"

شله الطبيب بنظرات شكر: "إنه شيء غير مألوف.
- "غير مألوف، لكنه جائز.. ألم يقرأ اليهود شيئًا عن قتيل بني إسرائيل والبقرة؟ وعزير؟ الإيمان بالله يتضمن بدأه الإيمان بقدرته، وأنت عالم...

همس الطبيب في حيرة: "كلام منطقي، لكن يتعذر على قبوله".

- "منطقي.. ومقنع.. ثم ترضيه؟!"

- "تلك هي الحقيقة
- "إيمان غريب!
- "فيمن الوحيد أيها الشيخ هو أنك في كامل قواك العقلية...

قال الخليفة بهدوء وثقة: "وكيف أمت بناء هذا البقين؟
- "المشاهدة والتأمل ومقاييس العلم والمنطق...
- "أي وادي.. أنت تمرح حديثي.. وتنتقي منه ما تشاء...
تلك خطيئة التجزئة.. الفهم الموحد أين؟ لم لا تقبلني أو ترفضني ككل...
هكذا تكلم عمر...

وقال الطبيب وقد بدأ الارتباك على وجهه: "لنخفف آلامك أولًا.. أعتقد أنك مصاب بالتهاب بالزائدة الدودية، وستحتاج

عمر يظهر في القدس

91

كتاب أخر

90
أثار وجود الخليفة بالمستشفى ضجة كبيرة بين العاملين فيها، وقد علق الدكتور "وهيوب عبد الله" على ذلك قائلًا: "القصة طريفة لا شك في ذلك، لكنكم أيها السادة ملتئمون العقول، تستهويكم الخرافات، أتتم تشاركون في صنع وهم سخيف"، لكن الجراح الذي استقبله وهو الدكتور محمود عناني قال: "لا يستطيع أن أقلب القصة أو أرفضها، إنها تحتاج لدراسة وإعجاز فكر، والابد من إجراء بعض الاختبارات والمشاهدات للوصول إلى الحقيقة بطريقة قاطعة".

غير أن الدكتور عبد الوهاب السعداوي، وهو طبيب باطني عرف بالدين قال في ثقة: "لم لا يكون ما حدث حقيقة؟ إنني أعرفك يا "وهيوب عبد الله"... أنت مادي جدلي، قد حطم نظريات ماركس وتلاميذته كل ما لقي من روائيات طمست الجانب المشرق من عالمك الذاتي".

وجرى عبد الوهاب السعداوي إلى غرفة العمليات كالمجذوب، وعدد من زملائه يتحلله، وكذلك بعض الممرضين والمرضى، وأبلغ السرير الذي ينام عليه الخليفة حتى انتهى على قدميه يقبلهم، ويذرف فوقيهما الدموع، ويقول في انفعال حاد: "يا حبيب رسول الله،
وعكر، ويدهوك للنظافة والنظام والتعليم، تفرقوا يغفر الله لي ولكم...
وكان الدكتور محمود يقف شاحب الوجه، يتفصى جبينه عرقًا، وقليله يدق في عنف، وإلى جانببه وقف رجلين مختنقين العينين، مرتفخة الجسد، بينما كفهر وجه وهيب» وقدم نحوهما قائلًا: «ما بك؟»
قالت: «لا أعرف، يبدو أنني أحبب هذا الرجل». سمعته يهمس وسط الضجيج: أسرجو شالة الحق بزيت المعرفة، وربطوا القلب بعذب اليقين، واطلقوا وهج الضلال بأنفس الندم والتأويل. وابداوا كما ولدتمكم أمهاتكم أحرارًا نفظاء. واشدوا باللحق العظيم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.
ثم أخذت تنتحب، وتكتك انفعالها دون جدوى، وتممت: «لا أستطيع أن أسير على نفسي. لقد امتلكت كلماته. لا أحب هذه الكلمات»...
وقال عمر بصوت مبوجح يغمره الانفعال: «يا أبنائي، آن أن يستأنص الداء، كي تجه الألام»...
وفي نقائق كان كل شيء هائمًا، لا تكاد تسمع في غرفة العمليات إلا أزيز الغليات، ورنين الآلات المعدنية، والعاملون يتحركون في صمت ووقار جاد، والقلوب تخفق بلحن حان حبيب. وبعد أن خقت الخليفة بالعقار المحدد، تمدد هائمًا، وكان قد أوصى بشدة، أن تستر عورته أثناء التوأم الصناعي.
ويقظني منهاجاً وأنا أبحث عنك من قديم، وأعرف عنك الكثير».
قال عمر وقد شفت مشاعره: «هل عرفت شيئًا عن قصوري وعصياني وندمي؟»
«يا باعث الأفراح في دنيا البائسين»...
«أنا بشر غير معصوم. وقد راني حبيب. وعاتبني ونهائي. لم أولد كمالًا. كانت حياتي سعيًا متواصلًا للكمال الذي لم أبلغه. لكنني كنت سعيدًا، وأنا ألهث في الطريق بِغية الوصول»...
وضعت حجارة العمليات بالشهيق والبكاء، كانت غالبتيهم من العمالة والعمالات والمضدين والمضادات، وارتموا فوق الخليفة ينتحبون، ويلثمون جسدهم وثيابه، حتى كاد يختفي تحت أعينهم وروسمهم، وصاح الدكتور وهيب عبد الله في حدة: «أيها الحمقي، لقد اتفتتم التقويم، وأفسدت نظام حجة العمليات. هل نحن في مستشفى مجانين؟ إذا لم تنصروا على الفتور فسوف أشد عليكم الجزاء، وأسعدني الشرطة لإخراجكم بالقوة».
ثم جذب الممرضة رجاء. تلك التي استقبلت عمر في البداية، وانتهرها قائلة: «ما هذا الذي تفعلين؟ ولم البكاء؟»
رماه عمر بنظرة طويلة، وقال موجها الحديث لمن حوله: «أصلحوا ما أفسدتهم، وعودوا إلى أعمالكم. أخوك يقول...»

الجواب النتائج.
بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي زايت
النبي صلى الله عليه وسلم يلزمه فاليه، وعليك بالصبر...»
قال طبيب التخدير ملفقًا: «لقد أوشك أن يفيق»
وقال عبد الوهاب السعداوي الذي يحفظ جزء كبيرًا من
وجه وراء القناع الأبيض، فلا يظهر إلا عيناه اللتان تبسامان:
هذه رسائل وردت في كتاب التاريخ بنفسها.. رسالة للنعمان،
وأخرى لسعد بن أبي وقاص، أثاراً كان يضعم الخطة
العسكرية لمن يحاربون في جلف وهو مقيم بالمدينة، احتزوا
الجيل.. انحرموا صوب الشرق، واستعدوا لعبور النهر في وقت
هذا .. كان يعيش المعركة بعجله وقلبه، وله يتكلم ساعات
وساعات .. أما سمعتي، كيف يخطب رجاله، وكيف ينصح خال
الرسول؟!

كان يومًا مشهودًا .. كان من المستشهفين تسبقاً إلى حجرة
المريض، وسرى النبا في كل مكان، وضرب الناس عرض
الحائط بكلام الصحف، وقال قائلهم: "الصحف تكتب دائمًا..
إسرائيل تريد أن تخفق أي نور يضع في عالم المسلمين«.
وزحف آلاف من الناس صوب المستشفى العربي، وكان
لابد من حماية النظام بوضع قوات كافية من الشرطة ورجال
الأمن هناك، حتى لا تستغل الظروف، أو تستشرى الفوضى

وقبيل الإفاحة، بعد انتهاء العملية، كان يتكلم دون وعي ويقول:
»بسم الله الرحمن الرحيم .. من عبد الله عمر أمير المؤمنين،
إلى النعمان بن مقرن .. سلام عليك .. فإني أحمد إليك الله الذي
لا إنه إلا هو، أما بعد فإنه قد بلغني أن جميعًا من الأعاجم
كثيرة قد جمعوا لله بمدينة "نهواند"، فإذا أتاك كتابي هذا،
فسر بأمر الله، وبرفع الله، وبخصر الله، فمن معك من
المسلمين، ولاتدخلوا وعزرا في من يذبحون، ولا تمنعهم حقهم
تكرههم، ولا تدخلهم غيضة، فإن رجلًا من المسلمين، أحب
إلى من مائة ألف دينار، فسر في وجهه حتى تأتي "ماه". فإني
قد كتب إلى أهل "الكوفة" أن يوافقون بها، فإذا اجتمع إليك
جنودك. فسر إلى "الفيزان" ومن جمع معه من الأعاجم، من
أهل فارس وغيرهم، والسلام عليك ..»

أه.. إنها مستنداتي الكبرى، أريد أنكتب القواد إلى بكل
شيء وأن يصفوا كل شيء عن أرض المعركة وطبيعتها، أريد
أن أكون كاني أعيش بينهم .. أه .. في .. أه، يا وحيد يا عمر،
ورث عبدي ضمغًا، ماذا تقول لربك يوم تلقاه .. أه .. في سعد
لا يغرك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحبه، فإن الله عز وجل لا يحمي السيء، ولكنه يحمي
السيء بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته،
فالناس شريفهم ووضعهم في دين الله سواء، يتفاضلون

عمر يظهر في القدس

96

96
وقال طبيب ينسب لحزب العمل الإسرائيلي، ومختص في علم النفس: «لم تأت أحداث صعبة في تشخيص هذه الحالة، وقد رأيت آلافًا من الناس في المصانع النفسية والعصبية، وهذا يدعم أنه نابليون، وآخرون يعتقدون أنه هتلر زعم النازية، وعلاج مثل هذه الحالات ممكن، فقد رأيت حالات كثيرة تفاقمت تماماً...

أما مدير المخابرات الإسرائيلي فقد صرح: «إن ما يهمني هو اعتبارات أمّ الدولة، أنا لا أعرض على رأي رجال الدين أو علماء النفس، لكنى أشك أن زواج هذا الرجل خطبة مدمرة... الحذر واجب، فقد يكون أحد العمال أو الجواسيس الخاطرين، وقد كان في نينتا القبض عليه، لكن بعد أن شاع أمره، وسُلط عليه الأضواء، لم يعد هناك مجال للخوف منه.

وتتم رجل في الشارع: «الله قادر على كل شيء، لا يمكن الجرم بكَذبة أو مرضه النفسى أو عمالته لجهة من الجهات... هذا رقم بالغف، وليس هناك ما يمكن أن يكون رجلاً من الصالحين، أو أن يكون عمر بن الخطاب بجسده وروحه...»

وأصر الدكتور وفيب عبد الله على رأيه وتحليله حينما قال: «ربما يكون إنسانًا آخر في التصوف، واشتهى إعجابه بعمر بن الخطاب، حتى خيل إليه أنه هو بنفسه. وأنا لم رأى الخاص في عمر أيضًا. لا شك أنه أحد عمالقة «اليسار» في الإسلام، وكذلك رفقة أبو ذر الفغاري. هذا شيء يجب أن يكون معروفًا. إذا ما فكرنا في التاريخ الإسلامي وتقسيم رجاله

وبيندس المخابرون، أو تندفع المظاهرات المعادية للاحتلال، واستطاع كثير من المتقنيين أن يلقوا على «المريض» نظرة خاطفة، عن طريق دفع المال أو الوساطات، لقد تحولت الشوارع والميادين القريبة من المستشفى إلى خلياً نحل واختلط الليل بالنهار، فالحركة دائمة، والضة لا تنقطع، وقد اضطرت الشرطة الإسرائيلية في بعض الأحيان، وخاصة بالقرب من الأبواب الرئيسية للمستشفى، إلى إطلاق النار للتخوف. في محاولة لتفرقع التجمعات المخيفة التي تتذرف بالخطر... واستغل محررو الصحف الفرصة، واتصال بعض العملين بالمستشفى وأخذوا عنهم بعض الأحاديث الصحفية، بعضها بأجر، لكن أغلبها كان تهرب، فلم يقبل أصحابها أي مكافأة.

وفي اليوم التالي ظهرت الصحف، وبها تحققات كثيرة عن الموضوع الهام، وأدل على رجال الدين، وعلماء النفس، ورجال الأمن وآراءهم، وقال أحد علماء الدين الراضيين من المسلمين: "لم يرد نص بهذا الخصوص في أحاديث رسول الله ﷺ" ولم يتعرض له الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وعصر المجهزات قد انتهى منذ زمن بعيد، ومن أن يظهر رجل يدعي النبوة، أو يزعم أنه المهيدي المنتظر، أو يؤكد أنه أحد الصالحين قد بعثه الله من جديد لقيادة الناس... وهذه كلها خزعبلات وبدع، ما أنزل الله بها من سلطان... وقد يشوبها الكفر والعياذ بالله، وقانا الله وإيامك من شره...»

 عمر يظهر في القدس 99

كتاب الخيرات 98
الإيمان، كانت روحه تشملنا وتتعلق فقنا. لقد آمنت بصدق. لم أر في حياتي قط شيئًا له... «لكن الأمر الذي اهتمت به الصحف أشد الاهتمام، وأولته الكثير من الرعاية والاندفاع، هو قصة "راشيل" مع الخليفة، فقد كتبتها إحدى الصحف في صفحة كاملة، مزدوجة بعدين من الصور. هناك صورة لراشيل في زيها القديم "المقابلي سبيل". ثم صورة أخرى لها بالعباءة والشال الشفاف الأسود، ولفظة ماكيرة لصديقتها السابقتين إيلي. وقد بدا عليه الكرير وشقيق الهزيمة، وصورة ضخمة لمر مكتوب عليها "فارس الأحلام" وسرد دقيق لقصة راشيل مع الخليفة، مع إضافات ومبالغ لا أساس لها من الصحة، وأحداث مستفردة، وتناقش وكالات الأنباء كحاثة من أطر حوارت العام، وانهالت الرسائل من كل مكان مستفيرة، في كحل، بل إن الكثيرين من البلد الغربي قد حجزوا أماكن على الطائرة المتجهة إلى إسرائيل.

كانت أرقت هذه وأنا لا أكاد أصدق عيني وأذهني، هل أنا في عالم الخيال، أم الدنيا الواقع؟ لقد التبست الأمر علي، ودارت رأسى، وشعرت بما يشبه الإغماء...

عمرو يظهر في القدس

بمقاييس العصر الحديث... وبرغم الإغراء الميتافيزيقي لعمر وغيره، إلا أن "يساريته" كانت نقطة تحول في الكيان الاجتماعي، والبنية الاجتماعية، والطبيبي آنذاك، كان عمر مؤمنًا بالجماعي وقضية كفاحها العادل، وهو ما يمكن أن نسميه في عصرنا مثالًا لأمانى البروليتاريا، وتطالبها الثورية التقليدية، وحقها في امتلاك السلطة، ولم يكن عمر بقادر على أن يعلن رأيه بصراحة في البناء الفقadoxي للدولة القديمة، وذلك لقوة الزحف الميتافيزيقي العارمة. كان عمر باختصار حلق فسيرة التمائم البطولية للطائفة العاملة، وإن شابت تصرفاته وسياسته نزعة برجوازية لم يكن في الحقيقة - كما يبدو - راستي عنها لولا مداهنة الجماهير التي لا ترحم...

أما الجراح الدكتور محمود العناني، فقد بقي على تجفيفه: "لا أريد أن أتساءل في الإدعاء أرجأ، لانتظار قليلًا، الكلمة الأخيرة حاسمة وخطيرة، ومن ثم لا يبدى أن يسبقها تأمل وتفكير وتمحیص...

وهتف الدكتور عبد الوهاب السعداوي حينما سأله المحرر: "الموت حق. والبعث حق. وليس هناك مؤمن في أي دين من الأديان ينكر قدرة الله. إن الله على كل شيء قدير...".

وصرحت الممرضة رجاء قائلة: "رأيت نور البقين على وجهه، وقرأت في عينيه الصدق، وسمعته من كلماته الإخلاص.

كاب البطناء...
أحدث المخترعات الأمريكية تصل إلى إسرائيل - «أظهرت أشرحة ببساطة كيف تعمل آلات التسجيل الصوتي وكيف تلتقط الصور بطريقة سريعة، والخلفية يستمع إلى في اهتمام، وتمت ضائق النفس: "أشعر أنا عالمنا سجن كبير" 
ثم استمرت: "على أمي حك، ليس لدي ما أخف من إعلانه، بل على النقيض مما يتصورون، إنني أريد أن يسمعني أكبر عدد من الناس، لكن لا شك أن استراق السمع جريمة لا تغفر...»
كان أمير المؤمنين متمسًا في سريره، شاحب الوجه، يشع من نظارته وملامحة نور غريب، يوجي بالثقة والأمن واليقين، وكان يردد من أن آخر بعض الأدبيات الدارسة عن رسول الله، ويتمم ببعض آيات من القرآن الكريم، ولم تكن تفوت حلاوة الصلاة، فقد كان يصلي وهو رآقي، وعينها ملأها معظم، وقد خلطت عن عينيها النظارة السوداء، وضعت الجلبة على منضدة صغيرة، ثم ألقت بنفسها لدى قدمي الخليفة، وأخذت تشحق باكية، أغمض عمر عينيه برهة، ثم قال بحزم: "تستطيع أن تجلس بهدوء، وأن تسلي الشال على وجهك..." وقامت في أسى: "لشما تألمت لما أصابك" - "هذا قضاء الله يا فتاة... لعل في ذلك خيرًا كبيرًا" - قالت: "أثار مرضاك موجة عارمة من الفلق بين الناس"
رد في دمحة: "لماذا آلاف الناس يمرضون.. بل وينموون كل يوم.. ويستنشق غاز بالمرضى من كل الألوان، فلم الفلق من أجل أنا بالذات؟".
-
"لست بشراً عادياً".

ubit قال: "أنا عبد من عبد الله، أكاد لا أتميز عنهم بشيء".

"ليس للناس حديث سواك".

هذ رأسه مستغرقاً: "بدعة جديدة!!".
وتتفت في حزناً: ".. ولقد قال حبيبى رسول الله، حينما رأى الأعرابي ينتفض أمامه من الخوف والروع: هؤون عليك.. فكان ابن امرأة كانت تأكل القديد بملكة ..".

هزتها الكلمات فاردت: "تواضعك يسمو بك إلى الأعلى .."

"أنا أكره التفاوت، وتزعجي تلك الأحاديث ..".

شعرت بما يشبه الخدر يسري في جسديها، ودار رأسها بموجة عارمة من الرغبة، وملت نحوه همسة: "أتسمح لي أن أقبلك؟".

دفعت في غلظة، وقد تغير وجهها، لكنها ازدادت منه اقتراضاً، ولم تتفق إلا على صفعة قوية رنت على وجهها:

"غادر الحجرة على الفور .."

"أرحمني .."

كتاب آذان
نظر الخليفة إليها، وقال وهو يكتمل انفعاله: «ديننا يا فتاة يدعو إلى التبين والعدل عند إصدار الحكم، أنا لا أملك الآن سلطة تفرض عقاب الله، لكنني آمنت شيئًا آخر، وهو أن أرفض السير في موكب الخدام...»

أخذت تكيى وتنتفض، ومن بين دموعها تقسم بأنها بريئة ثم تؤكد أنها لن تستطيع أن تعيش بعد اليوم بعيدة عن الخليفة، هي ستستير وراءه أيهما تذهب، وتتعلق بانيال ثوبه، برغم كل ما يحدث، وإنها عند الياس لن تبقى في الحياة لحظة واحدة، فستترك الدنيا بكل من فيها وما فيها، وتجار إلى الله شاكية، ويبعد عن قلب الخليفة قد رق لها، وهذا ما زاد من حنقات، قال الخليفة: «لماذا تحينني؟»

همست في شرود: «كثيرًا ما لا يتبين الإنسان السبب الكامن وراء الحب»

صاح مختشاً: «هذا عمي»

قالت في نبيرة صدق: «أنت تختلف عن الآخرين»

- «شيء طريف هه!!»

- «لقد كتبت أنا لا أتسلى بحادث مثير صدقني»

- «ماذا إذن؟»

قالت: «أنت رجل صادق مؤمن لاهب أحدًا»

- «أنا الله»

- «أجل. جبت منزها عن كل غاية دنيوية منحطة».

- «أنت تظلمني يا رفيق..»

- «إني أصفعك بالحقيقة مرة، رغم الحراب التي تحميك».

قالت وهي تمد يديها في تولس: «لم أفعل شيئًا من هذا، إيلي الملعون هو الذي شهر بنا غيرة وحسداً.. أنت تعرف إيلي أيها الرفيق».

تساءل عمر عما أعني، فأخبرته بما كتبته الصحف عنه، وعنها، ولم يخفف عليه أن المقصود من ذلك هو تشويه سمعته، والدليل من استقامته، حتى ينصر الناس عنه، فيتبأ من العلماء ولاتجري العامة وراءه أو تثق به، فلروح عمر بيه مغيرة وقال: «هذه جريمة يعاقب عليها الشرع، كيف يرمون فتاة مثلها بهذا الادعاء وكيف يتهمونهما بما لم أرته، إن بين سطور كلماتهم تلميحًا إلى فعل شائن رهيب لا يمكن أن يصدر عني».

أردت متحديًا: «أنا دون المعبه، وتداركين في صنع الأكاذيب؟»

- «بل فعلها حاقد علي وعليك».

سمت عمر برهة، وبدأ على وجهة التفكير والحيرة: «لعلها مظلمة يا فتى».

- «إني تلعبنا وتخدعنا يا أمير المؤمنين..»

كثب الخمر
وعاد إلى النظر في السقف الأبيض المضيء: "وللإيمان
يافئة تكاليف باهظة. أما أجرها الموت في سبيل الله.. يجب أن
تخلق صفات إيمانك من الغرض الدنيوي والعرض الزائل.
والخلاص من أهواس النفس ومجاهدتها هو الجهاد الأكبر. كما
قال حبيبنا رسول الله.. والحب هنا له صورة جديدة، المؤمن
إن أحب المرء لا يحب إلا الله، وإن كرهه لا يكره إلا الله.. هذا
شيء هام من صفات المؤمن.

تممت خاتمت رأسها: "أحببتك لله وفي الله...
- "عندهما تستطيعين أن تعشي في جو من السعادة. لم ينل قلبك من قبل، ويصبح الحب الظاهر عبادة، وتتحول للذة
البهيمية إلى علاقة إنسانية نظيفة، مليئة بكل المنعم، وأسماها
الزواج.. وتتمى العبادة التي تلبسها سترا.. وكراام.. وترين
المحترفين العروة قطعاً من الحيوانات الضالة، أبعد ما يكونون
عن نوع الإنسان الذي كرهه الله.. فلؤي معيا، يا راشيل أشهد ألا
إله إلا الله، وأن محمد رسول الله.

هكذا تكمن عمر. كنت لا أستطيع أن أصدق ما تقع عليه
عيني، أو تسمعه أذني، وراشيل ترتل الشهادات في صدق
لا شك فيه، ورأيت الرضي والفرح يكلان وجه أمير المؤمنين
غير أن تألقت في اليوم التالي أشد الأمل.. فقد انطلقت الصحف
نبا، الإسلام راشيل، وأبرزته في صدر صفحاتها، وكتب أحد
المعلقين الصحفيين قائلًا: "إذ هذا الرجل الديني يحمل بذور

"أصلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر في القدس.

"صلح، يظهر فيقدس.
تعاني من أمر عاجل ملح، فقد استدعاهما مدير المخابرات إلى مكتبه في مساء اليوم التالي، وناقش معها التسجيل الصوتي لكل ما دار في حجرة الخلافة: "وأخيراً، إذا أن تكون ممثلة بارعة، أنت لك في الرجاء الأكمل، وإذا أن يكون الرجل قد خدعك، وأقنعك بثرائه، أردت الصيام، فأصطادك.

أخذت راشيل تقعقه في توتر وتقول: "حتى أن تراودك الشكوك؟ إنه لم يمس قسدي حتى الآن إلا بعضها وصفصاتها.

بني وبيته آلاف الأملايل. لا بد أن يقصر الطريق، وتزول العقبات حتى نبلغ مازيننا. وذلك عن طريق الثقة التي أنا لديها.

أنا أعرف كيف أودي واجبي من أجل إسرائيل الكبرى، وراشيل مستحيل أن تخون كفاح الأجيال الطويل من أجل صهبة. أمير المؤمنين يظن أنه امتلكني. أنا التي ستمتلكه، عندئذ تتعزى الأكذوبة الكبرى، ويسفر وجه الحقيقة..."

كان وجهها ينلقي بشرا، وهي ترفع يدها وتهتف: "عاشت إسرائيل الكبرى، الموت للمسلمين.

قال مدير المخابرات، وقد بانت مسحة من الظلمان على وجهه: "ما رأيك في الرجل؟" - "شخصية قوية واعية جذابة" - "أعني ماذا تظنين وراءه؟"

الفساد والتمدّد لْأجايالا التي ولدت في غمار النار والدم والعناء، هو فتنة خطيرة يجب استنذالها قبل أن يفلت الزمام، واقترح على الحاكم العسكري العام طره من القدس فور شفائه، لم يعد يخجلني أدنى شك في أن الرجل نفسه هديها تحطيم دولتنا الفتية من الداخل، بعد أن عجز الأعداء عن تحطيمها من الخارج. ليس يؤلب علينا المسلمين. ويفتن غير المسلمين من المسيحيين واليهود. إن له قدرة خارقة في التأثير على ضحاياه، فهو يستغل الفراغ الروحي، ويملا عقولنا بالخرافات الجذابة.

وأصدر الحاكم قراراً بطرد راشيل من جنّة إسرائيل الروحية، وأوصى بحرمانها من بعض الحقوق المدنية.

لكن أحد علماء المسلمين الرسميين ضحك ملء شققيه وقال: "إنك لا تهدي من أحبب، ولكن الله يهدي من يشاء. أنا عشت طول حياتي مؤلفًا للكتب، وخفيضًا لبارًا، وملقيًا للمحاضرات.

فلم سلم على يدي فرد واحد... لله في ذلك حكم...

وتسابقت المدارس والجامعات والأندية الثقافية والرياضية والمكتبات العامة، وبعض الأحزاب الصغيرة في توجيه الدعوة إلى الخليفة لتقديم دعوات عامة يشترك فيها كبار المفكرين والجمهور أيضًا، يدأب فيها النقاش عن مختلف القضايا والمواضيع الدينية خاصة، والفكرية عامة. ونهاك وراء الكواليس حيث التكنولوجيا الصارتية والتحركات الخفية، كانت راشيل...

عمر يظهر في القدس

111

كتاب آخر
ويعتبرهم يريد أن يستغل صورتها في الإعلانات مقابل مكافأة سخية، وقالت راشيل لأبيها شاكيًا: «هؤلاء الصحفيون شيء رهيب مقيّط».

عمر الأب بينهما يستغيثًا: «أستطيع أن أستغلي الموقف.

- كيف؟

- لا تعطيهم شيئًا إلا بثمنه...

- لكنني لا أريد...

قال غاضبًا: «سيكتبون من محض خيالهم.

وتدخل أمها قائلة: «أرى أن تكتب راشيل مذكراتها، وتبيعها لمجلات الصحف وبذلك تجني من ورائها ربحًا كثيرًا.

قالت راشيل: «لكن إيلي سيغضب...

صباح آبها - فليذهب إلي الجحيم...

- آلم توافق على زواجنا منه، وتبقي في ذلك...

قال مستنكراً: «أتنا؟ لا أذكر ذلك التفتيت راشيل إلى أمها مستشيدة، فقالت الأم: «لم يعد إيلي مناسبًا... يستطيع أن يجد عشات غيرك...

- ومعصيته العظيم؟ ونفوذته الكبيرة؟ وجماله؟ هل نسيت أنت الأخرى يا أمها؟»

- آه.. لم أتبين هذته الحقيقي بعد.. يزعم أنه يدعو إلى الله وحده، ويريد أن يعود الناس إلى الإسلام ومبادئه من جديد، ففيه السعاده والخلاص.. وأنا أرى أن البطش به حماية: لأنه لن يفضغ الموضوح المحيط بالرجل.. ولاخوف من دعوته فستزدهرها الرياح كما حدث لكثير من الدعوات قبل علينا بالصبر.. وذلك هو الطريق الوحيد لكشف مخططه الغامض..

ثم ابعتت ريقها قائلة: «لكن يجب أن تتبعوا إيلي» عن طريقي، وإلا أطفل كل شيء، إن الغيرة قد تدفعه إلى ارتكاب حماقة، فتخسر الكثير.

همس مدير المخابرات: «اطمئني من هذه الناحية، نحن نراقب كل شيء، لو رأينا من الضروري اعتقال «إيلي» لاعتقلنا على الفور.. لن نسمح لأي فرد مما كانت مكانته أن يعوق مسيرتنا..»

لم تكن «راشيل» تجد راحتها حتى في بيتها، أجراس التليفون تدق باستمرار، وخوف الصحفيين يحاصرونها ويلحقونها أيمنا ذهبت، نظرة المارة الذين يعرفونها تريك تحركاتها، وتنطلق على قلبها، الباعة يعطونها ما تريد دون مقابل، شركات الدعاية يرسلون إليها بالكثير من الهدايا.
قامت راشيل بحزم: "أنا لا أفكر في شيء من هذا القبيل الآن.

مسك أبوها بذراعها ولوها في عنف قائلًا: "أتريدين ضياع الفرصة الذهبية يا حمامة؟" 

وسدست أمها إليها نظارات غاضبة قاسية، وفكرت راشيل ماذا تقول.. المخاوفات يريدون انتصاصها، وعائلتها تُهدِد إلى استغلالها، وإيلي يشتهي جسدها كحيوان مفترس، والصحافة تُروِّق عليها حياتها بفُضيلة إمتاع الجماهير، ورفع نسخ التوزيع، العالم أثاني جشع يبدو كسوق كبرى للعبيد برورة للمضاربات.. إنه لشيء مُؤلم..

همست في دهاء: "انتظرا.. لسوف أتدبر الأمر بطريقة تسركم.

قال أبوها: "قبل أن تفوت الفرصة.. إن شقتنا حقيقة لا تليق.. والشارع الذي نعيش فيه ضيق مزدحوم باليهود الشرقيين الأقدر.. إني أحلم بحي راق ..وبهت فخم .. تحوطه حديثة وأزهار .. ورصيد ضخم بالبنك ..ومشروعة تجارية كبرى ".
همست راشيل في شرود: "ألم تجري الوقوف لدى أقدم جبل عالي هامته تعانق السحب البعيدة؟ ألم تفكر في سعود ذلك الجبل؟ إنه شيء فوق التصور والخيال!" قال أبوها ساخرًا: "إن طائرة "هليكوبتر" تتقل إلى القمة في لحظات لكنك لا تبحثين عن وسيلة .. "

بادلتته راشيل سخرية بسخرية وقالت: "إن كل المقايس العسكرية والتكنولوجية هنا تفشل تماماً .. عمر ان أصل إليه بهذا الأسلوب، ولو امتلئت متن صاوخ ذري .. ذاك عالم آخر لا يعرفون طبيعته"

وتناولت وهي جالسة على المقعد، ثم راحت في سبات عميق على الرغم من أن أمهما وأباهما ما زالان يثيران ..

---

وزادت الهموم، وطفح الكيل، وأخبار الخلافة تقسم الدنيا وتقعدها، ولا أدرى كيف سنتصرف قوات الاحتلال إذًا، ولا كيف يواجه عمر خيبه هذا العالم ودعاهاً، وهو الرجل الطيب، الشجاع القلب، وأخذت أتصل بين أثق فيهم من المعارف والأصدقاء، وأناشذ الأمر معهم، كان بعضهم يرى أن أنسحب من هذا الضبيج كلية، حتى أوفر على نفسى الميعاد، وكان البعض ينصب بأن ندمير وسيلة هرب محبوكة للخليفة، كي يدخل إلى بلد عربي أو إسلامي، فهناك قد يجد النوبة الخصبة لدعوته، والموجات المباشمة لأفكاره، والحفاظ على حياته! وبعض الأصدقاء كانوا يعجبون: لماذا أتى عمر بن الخطاب بالذات إلى القدس، وهي تحت الحكم الإسرائيلي، وتغاضب المشاكل والاضطرابات المحزنة؟

ورأيت أن أزهر أحد علماء المسلمين الرسميين في بيته كي أتدارس معه الأمر، فقد يكون ما نشرته لسانه مسوسًا عليه، وأحببت زيارة إلى الكتيم، وحينما رأيا الرجل رحب بي، وأخذ يسألني عن كل شيء يتعلق بالخليفة، لكوني لم أخطئ الفتور والخوف اللذين خالطاه كلماته وصرفاته، لقد شرح له القصة منذ بدايتها حتى اللحظة، وفي النهاية قلت له: "أنا لا أرى الخليفة ضحية مكيدة يهودية"
ماذا أقول للشيخ؟ أقول له أن عمر يتكلم بالأسلوب غير أسلاوكم، وأن كلماته وتضحياته وسلوكه وحدها واحدة، وأن يقيمه تنتولد منه قوة ساحرة تتمثل زمام التغيير والبعث، وأن عائلته بريءة من الخوف والضيق والتجاهل والذل، وأن واقع المسلمين اليوم يعني الدليل على فشل هذا الشجاعة وأمثاله، ويؤكد ملامح جاهلية من نوع خبيث، يمتاز في العلم والتقدم والمادي، ولغة الفكر المعاصر بخيله وهو مجسده وخداعه؛ لكنني أريد أن أتزعج بالصبر، فقد أستطيع أن أجمع بين الشيخ والخليفة لعلنا نصل إلى حل مرض، فقلت ضارعاً: «ما رأيك لو التقيت به»

«أنا؟!»
قالتها في استغراب، فقلت: «وأما في ذلك؟!»
«أنا أشك في القضية من أساسها..»
«تعال.. وتحقيق..»
«ليس هناك ضرورة..»
لم أستطع أن أكبح غضبي فقالت: «رجل من الصوفة، جاء ليقول كلمته، فترفض سماوعها؟!»
والله لو طلبو منك أن تخرج لاستقبال وزير الحرب الإسرائيلي، للبست أخر الديو، ولتهورت إلى مكان اللقاء، وعلى تغرك ابتسماء عريضة، ولبقية الساعات تستمع إلى كلماته، وتهز رأسك شاكرًا..»

ورد الشيخ قائلًا: «إن كان مؤيدًا من الله، فإن يصيبه أذي، ولو اجتمع أهله السماء والأرض، إنهم واجتنهم على أن يضرونا بشيء لينضرونا إلا بشيء قد كتبه الله عليه..»
ولاحظت في كلماته قدرًا من السخرية، فقلت: هذا موقف سلبي لا يليق.. كان الرسول مُؤيدًا من الله، لكنه كان يتخذ لكل أمر عده.. في السلم أو الحرب..

صاح في وجهي محتذًا: «ماذا تريد مني؟ أذهب إلى رجل مجهول النهاية، وأقبل يديه ورجله كما يفعل الغوغاء؟ وماذا سيكون موقفي أمام السلطات الإسرائيلية؟ سيتهموني بالمشاركة في تدبير مؤامرة مع الوافد الغامض لخلق القلاق، وأنا هنا مسئول عن أسرتي وأولادي وأموالي.. إن مصلحتكم هنا، ومصلحة الدين تقتضي أن يعود عمر من حيث أتي..»
قلت ذهولاً: «أنت تناقش الأمر بطريقة غريبة..»
«هل واقعية..»
«لقد جاء يرد كلمات الله.. جاء يدعو النائم.. والمحترفين.. وحرب الجاهلية الجديدة..»
اكره وجه الشيخ وقال: «ومنه؟ إننا نحمل الرسالة، ونفسر القرآن، ونفده الناس بدنيهم.. أمكن أن يضيف أي إنسان شيئًا جديدًا؟! الجاهلية قضى عليها محمد.. ولن تعود»

عمر يظهر في القدس

119
وهممت بالخروج وأنا أقول: «نتخلفون دائمًا. تركبون
ذيل الموكب.. وتليبكون أي شعاع جديد ثيابًا مهلهلة تسمونها
derm. وتجذرون للرميل الكاذب لتجتليروا رمي الحكام في
ذيل الموكب دائمًا. لكن العلماء في الشوارع سيبتهجون
سيتلفون الحقيقة، ويتشربون رحقيها دون حلقة.. ولن
يهابون الموت. إن ظهور عمر خطر على إسرائيل. لكنه أشد
خطرًا على دنياكم المليئة بالكذب والخوف والنفاق. ولنها
تكهرهون ظهوره.»

وعندما بلغت الباب سمعته يزهر في غضب عاصف: «إن
مدافعون الإسرائيليين تستطيع أن تكسس هذه الجماهير في خمس
 دقائق، وتكنس معها الخرافات، لسنًا في حاجة إلى عمر
جديد. لكننا في حاجة إلى صفقة من السلاح.»

قلت وأنا أغلق الباب بني وبنيه: كان لدينا السلاح.
تركتنا مكنشًا في الميدان. أنتسبر؟» ضايقتهم كلماته،
الأسلحة وحدها لا فائدة، والرجال المدرعون لن يغيروا إلا إذا
عمرت قلوبهم مبدئ، نهتم بالسلاح أكثر من اهتمامنا بحامل
السلاح، ماذا أقول؟

وأخذت أسير في الطريق العام، وكاني أخوض كابوشا
مزعجًا، وفتحتها عيني لأرى الدكتور عبد الوهاب السعداوي
يشتري بعض الصحف، وعلمت منه أنه منكب من جديد على
دراسة تاريخ الخليفة، وقال إن هناك أشياء هامة يريد أن

عمر يظهر في القدس

كاد يحزنني بنظراته، لكنه تمالك أعصابه وهتف: «أنت غر
ساذج، لو وضعت اليد في يد الرجل، لفقت الأذن التي أقف
عليها لأدفاس عن دينكم وأراضيكم، ولو أتضح أن عمر لا وجود
له اليوم، لكسريا وخشسر الإسلام الكثير. فقد أحرضت بعلوم
الدين، وست في حاجة إلى المزيج.»

لوحبة بيدي في غيظ وصحت: «الدين ليس مجموعة من
الكتب تحفظهما عن ظهر قلب. نحن موثق.. لقد خسرنا كل
شيء.. الدين والدينيا.. والملايين منا ركعت في نزهة تستحكي
انسحاب الدولة الصغيرة.. برغم إحساسنا بجميع علوم الدين.
إن التجرية أقوى صحفة على وجه ادعاءتنا وأغورنا. أنتن
موظفون.. أذناب ولست عالم دين...»

أشار الشيخ بسببته المرتجفة صوب الباب قائلًا: «إذا لم
تخبر فساؤستدي الكرمة.»

نظرت إلى وجه المحتقن المكتنز، وشرت الغضب التي
تتظرير من عينيه، وصدرها الذي يعو ويهلب، وقالت: «أؤمن
بالله؟»

ظلت سببته المرتجفة تشتر على الباب، دون أن ينطق،
فاستطردت: «إذا كنت مؤمنًا به، فيجب أن تؤمن بقدرته.»

لكن الوجه المكتنز ظل يرشقني بالنظرات الحادة.

- «وليس بمستبعد أن يبعث الله بعمر...»
يسأل عنهما، فلماذا اختلف مع خالد بن الوليد وعزله؟ وكيف اعترب على صلح الحديبية برغم إقرار الرسول له والملابسات التي أحاطت باعتباراته؟.

قلت: «يا دكتورة! هذه أمور ثانوية. المهم أمن الخليفة الآن والحفاظ عليه، وتمكينه من تأديته واجبه. الناس في هرج ومرج، والإسرائيليون لا شك يبدون مؤامرة. ورشيل هذه لا أثق فيها. يجب ألا تسبقا الأحداث.»

قال عبد الوهاب في ثقة: «عمر يعرف ما يجب عمله».

- ليس له سابقة معرفة بما جد من حيل خبيثة...
- لا يا صديقي. المؤمن يرى بنور الله. وقد جاء عمر لانتحميه، ولا يقيد جيشًا، ويدبر هجومًا عسكريًا خاطفًا.
- جاء ليهداني فتسرى على هدى الله. جاء كالصدمة الكهربائية التي تهد رأس المريض وقدموه فينفتح. ثم يفيق. وقد زاله الروح والداء... كصفرة الأمان التي تهب بالناس أن يخرجوا من ظلماء الخنادق والكهوف إلى الحياة والنور. إن دورنا ينصب الآن على استعباب كلماته. وبدعها تنخض الانتفاضة الكبرى، ونجابها الشرفاء الإسلام. جهادًا في سبيل الله.

لشد ما تريحني كلمات عبد الوهاب، وتبعه في قلبي قدرًا كبيرًا من الطمأنينة والأمل، وهمست: «أديك أدنى شك في أنه عمر...»
هدّا تكلم عبد الوهاب، فقال وهم بآذان اذاعة: «أقرتم الناس في هوس جديد لا يطأ.. إنه نوع من المخدّر لتسكن آمنا.. لا شك أنه شيء تفريف، وترمّيده فكرة أطرف، ما رأيك لو عرضنا فلسفة ماركس وإنجلز ولنين على أمير المؤمنين يبدو لي أن الرجل واسع الأفق، وقد تجد الفلسفة قبولاً لديه، سيكون ذلك - لو حدث - ضربة موجهة إلى صميم اليمين..»

نفّذه عبد الوهاب في صدره حائثًا: «هذّر سحيف، أنت تفتقد الكثير من اللباقة والأدب هز وهم رأسه وكتفيه قائلًا: هذا رأيي.. الرجل لا يرفض مناقشة أي شيء».
والتفت إلى وهم قائلًا: «كيف أصبح الناس في روسيا ماركسيين؟»
قال بهدوء: «تطور تاريخي حتمي..»
- «كان التطور الحتمي حسبما ظن ماركس سيبدأ في مجتمع الصناعات في أوروبا، لكن ذلك لم يحدث..»
- «هذه مسألة فرعية».
- «فلأصبح لك.. فئة قليلة من حملة السلاح، خدعت كل الجهات، واستغلت سخط الجماهير وبوسها، وأغرقت الناس في بحار من الدم، وحكموا بالرعب، وساقوا الناس إلى فلسفة دموية حقف أنوفهم. يستطيع أي طاغية يملك القوة أن يفعل..»

عمرو يظهر في القدس

(125)

(126)

(كتاب الألغام)
حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينصبف الشيطان، فلا تقعد
بعد الذكرى مع القوم الظالمين - صدق الله العظيم ..
وعجب لشحوب وجه الدكتور وهيب الذي تتمت: «كأنما
نزلت هذه الآيات موجهة إلي ..»

توجد الحرية الحقيقية .. والإيمان بالواقع. قلت: «وماذا قال
عمر؟»

أسرع عبد الوهاب قائلاً: «كان حاكماً ما أنجبت البشرية
على مثاله في العدل والعفة والرحمة، واحترام العقل .. نزل
الوحي مرات يؤكد صحة رأيه .. ليس رداءً واحداً .. اشتتم ببردة
خليصة خشنة .. وكان يملك غنائم أكبر دولتين في العالم
المعكور .. وكي من خشية الله .. وساق ولاته للعدل .. عالج
مشاكل عصره كامرأ ما يكون الطبيب يا طبيب .. خاف أن تعثر
بغلة في العراق فيباحسه الله عليها، وطاغوت الكرملين كان
يصفد نداء الملايين باسم مصلحة الملايين .. كانوا يرهبون
الطاغية وهو مشجع على فراش الموت .. وأمرأة واجهت عمر
وخطأت .. فنزل على رأيها صغيراً .. يا ابن التقدم والحرية
والعلم .. أين نحن من عمر وأعصره ..»

أطرق وهيب صامتًا .. ظل شاردًا بضع لحظات، ثم رفع
رأسه وقال في شيء من الارتباك: «لا شك أنه رجل يستحق
الاحترام والدراسة. ولكن المشكلة التي لا أجد لها تفسيرًا
ولا قبولًا .. »، هي أن يبعث أحد الموتى بعد تلك القرون الطويلة ..

خلع عبد الوهاب حذاءه، ثم وقف وقفة وقال: «أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم .. وكذب به قومك
وهو الحق .. قل لست عليكم بوكيل - لكل نبا مستقر .. وسوف
تعلمون - وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا .. فأعرض عنهم

عمر يظهر في القدس

(126)
وضحك الدكتور وهيب ساخرًا وقال: "حتى أنتم تسقطون ضحية خرافة، رحم الله الشاعر القديم حين قال: حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أمه عمرو.

وقال الجراح المصري الدكتور محمود العناصر وهو يضغط على مخارج الحروف: "ليس لدي أي تعلق، أنا هنا لأجيب بلا أعرف.

أما أنا فقد عزلوني وحدي، واستمر التحقيق مع الأطباء فترة قصيرة، وعندما خرجوا تهيات للدخول، وكم كانت دهشتي حينما وجدت جنديين مسلحين يأتيان، ويدفعاني دفعًا إلى سيارة مغلقة، تبدو كالنزانة المظلمة، ثم تنطلق بي إلى مكان ناء بالقدس الجديدة. إنه معتقل من المعتقلات لم أحظ بشرف المثل فيه قبل ذلك، ثم قذفوا بي في حيرة مظلمة ليس بها فراش ولا ماء. كان هناك دلو صغيرة في أحد أركانها، يبدو أنه لقضاء الحاجة. وبقيت نهًا للظلم والإصلاح والانتظار عدة ساعات. مرت كهدار، وعند منتصف الليل أخرجوني من النزانة، نفعني السجان بغذاء وفجوة. ثم صعبني على القفًا... أول القصيدة كفر. هذا لا يثيرني بخير على الإطلاق. ثم رفضني بحذائه الثقيل. غلا الدماء في عرقي، ثم النفت إليه في غيظ، هدر كحش مفترس "لا يعجبك صعفي". "خذ" ثم صعبني على وجهي، وأعقبها بلزمة قوية سددها إلى فكي الأسفل.

لا أستطيع أطباء المستشفى وغيرهم من العاملين لاستجوابهم في بعض الأمور الخاصة بالمرض المشهور، وكان السؤال الأول: هل لوحظ أي شيء غريب في بطن المريض أو أحساه؟ كان السؤال مضحكاً، وكانت الإجابة لا تحتاج إلى تأكيد، ولم تؤدي إلى أي حيرة. أما السؤال الثاني وهو الأهم فقد كان عن هذين المريضين أثناء إفراطهم من التخدير، فروا الوقائع كما حدث دون زيادة أو نقص، بل تطور الدكتور عبد الوهاب وشرح لهم من هو النحاسين بن مقرن، ومن هو سعد، اللذان قصدهما الخليفة بالحديث، غير أن ضابط المخابرات سال في تهديد:

"هل ندرك اسم أحد الفداةين أو المنظمات الفدرالية؟"

- "لا..."

- "هل جاء على لسانه نكر لأي بلدة عربية أو إسلامية؟"

- "لا..."

أبدو رجل المخابرات الشك في حديثهم، وصرخ: "لا يمكنني الوقوف مكتوف أيدين أمام مؤامرة تحاك تحت سمعي وبصري...

قال عبد الوهاب: "قلنا الحق ولا شيء غير الحق.

القصة المتمم

عمر يظهر في القدس 1288
واتقت الضابط مني، ورتب على رأسي في حنان بالغ، فقال:

"أتشعر بهما شديد؟"

فطلب من السجان كوب ماء، ثم التفت إلى في هدوء وقال:

"لا منجاه لك إلا بالصدق، أنت تعرف ذلك، والقال من يوفر على نفسه المتاعب، ويفر على غيره الجهد الذي لا يمرر له، سوف ننزعنيك كل ما نريد بأي سيلة... هذه ضرورة لأنه يرتبط بمافتنا وسلامة الدولة... كل العالم يفعل ذلك... أعتدي أن تقدم كل ما لديك من معلومات؟" قلت ولساناً في فمي كقطعة من الخشب: "أعدك، ليس لدي ما أخف من إذاعته..."

قلت جبينه، وبدأت إلى نظارتيذن جائع، وقال: "قلت ما جئت من البداية للنهاية، دون أن ننسى شيئًا، مهما كان ساقه.. تكلم عن كل شيء.. كيف التقينته، ماذا قلت وماذا قال، أي تعليق صدر منه.. كيف يشاركه؟ كيف يشربه؟ الشخصيات التي التقين بها.. رأيه في مشكلة الشرق الأوسط، وقرار مجلس الأمن.. والمفاوضات بين العرب وإسرائيل..." وأخذت أجيب على كل تساؤلاتي. لكن الضابط قال: "وأي شيء؟" فعين؟

- "رأيه سيء بالنسبة لكم، وللدول العربية عموماً. العالم كله في نظره يتبعن من جاهلية سوداء، ويعضو في مستقل من الإثم والفساد، ويعتبر الزيف والفساد."
- هذا شائقي.. أم تريد أن تحمل إلينا رسالته ..
- آسف ..

- ومخاربإنست تعرف كل شيء .. تعرف توزيع القوات العربية وقواعدهم وسلاحهم وخبراءهم الأجانب .. مستنكر أن يظل هذا اللغز «التفاوض» على غموضه .. إذا اعتزم صبر فاما أن أحل رموزه، أو أحكمه إلى الأبد .. أنفهم كلماتي؟
- قلت وأنا ألوى: «الظرا ما يكاد يقتنث.. والح شديد .. أشار إلى رجل قريب، وطلب منه إحضار الماء على وجه السرعة ..
- عمر هذا لاقيمة له، المهم الأيدي الخفية التي تتحرك، والمخطط الذي رسموه لنا .. هو مجرد آلية ..
- وماذا أفعل!!
- أنت لم تلق أشعة واحدة من الضوء ..
- إنني أختلف معك يا حضرة الضابط .. كل شيء واضح، غاية الوضوح ..

كور قبضته، ولوح بها مهدأا: «أستطيع أن أسحقك كحشرة .. مثات مثلك يبتلعهم العدم في سجوننا، ولكنني عليهم أحد .. لا معنى للعناد إذا كان سيتكفل حياتك .. وساع سعلا مصطنعة، ورأيت وجودا ثلاثة مكفره، وسياطًا ترتفع ثم تهوى على رأسي وجدي ووجهي .. أخذت أتلوي وأنا أضع يدي فوق عيني .. وأستغيث ..

ضحك الضابط حتى كادت حنجرته تتشق، وقال: «ذلك كلام رجل بليغ يحب الإنشاء .. مثل هذا الكلام لا يلقيني ولا يزعجني ..»
- وأبدى له جهلي التام بالبلد الذي نشأ فيها، وبعلقته بالمنظمات ..
- «لكن كيف وخليله ..
- «أنا رجل ووضعني الأقدار في طريقه يا حضرة الضابط ..
- لم أكن أنتظره .. لم تكن على موعد ..
- اكتسي وجه الضابط بالجد، وقال: «كثرت الأعمال الإرهابية» منذ قدم، وأزدادت المظاهرات، فما تفسير ذلك التمرد؟
- لا صلة له إطلاقا بشيء من هذا
- «وما عليك؟
- أكاد أكون به صفعة مستمرة ..
- «أليس لديك عمل ..
- فصلت من وظيفتي بلا سبب ..
- «أنت داهية ..
- لم أخف شيئًا يا حضرة الضابط ..
- أنت تكتب .. لن نعجز عن فض الأخطم .. إننا قادرون على هكذا الستر عن الغيب ..
- قلت دون وعي: «إنك تتحدى الله ..»

عمرو يظهر في القدس
وداد الضابط إلى ضحكته الداعرة: "كان في الإمكان أن ينزل في سوريا.. العراق.. مصر.. لبنان.. المغرب العربي.. أندونيسيا.. باكستان أم أنه خاف أن يتهم في أية دولة بالجاسوسية أو التآمر ضد نظام الحكم؟ أليس الأمر مثيراً للدهشة؟"

"قلت: مثير.. فعلًا ..
- "إذن فنحن على حق إذ نشك.."
- "وأنا على حق إذ أجهل .."
- "أنت مسندجي؟ هه .."
- "قلت: استبد بي الظما ..
جمال نجري في غيظ.. "فلتشرب من خمر الحنا.. هناك لا يصيبكم ولا مخصصة.. قل لي.. مخصصة.. ما معناها؟"
- "الجوع .."
- "عفام .."
- "واتنزع الضابط قادحته وسجائره بعصبية وقال لرجاله: "خذوه إلى الزنزات.. لا تعطوه جرعة ماء واحدة.. "وأرتميت في الزنزات.. ظامينًا متأملًا حزينًا.. تكاد تختفني الوساوس والهموم.. إن دائرة الخطر تضيق حولنا يومًا بعد يوم.. والأيدي القنعة تحاول محاصرة الخليفة.. وخنق آماله.. لن تتركه يعود بشئه.. هذا ما قلتته من قليل.. لكن أحدًا لم يكره لفوي.. إنهم يراقبون مرافقيه.. ويعرضون صوره في كل جميع...

قال الضابط وهو يهم بمغادرة المكان: "ستظل تحت هذا الوابل حتى تنفك عقدة لسانك .."
فجريت نحوه.. وقد أشعلت السياج في جسدي ما يشبه النيران.. وأمسكت بذراعه قائلًا: "انتظر.. ساقول كل ما تريد .." إبطست.. وعاد إلى مكتبته في الهواء الطلق.. والضوء الباره.. وأشار إلى الشيطانين الثلاثة.. فترجعوا.. وقلت.. والدموع في عيني: "إما أن أختبر الأحداث.. وإما أن أصدقوني .." ضحك ضحك مباهة وقال.. "فلختبر لنا شيئًا مقنعًا .." أخذت أشده شعرني في غيظ وأقول: "لكني لا أستطيع .. أرمي الخليفة بما هو منه براء؟ "حسنًا.. لا اختبر.. قل لنا تصوراتك عن الموضوع بصدق .." قلت دون تثبيع: "الرجل هو عمر بن الخطاب.. وقد أحياء الله القادر.. وجاء لإصلاح ما فساد من أمر المسلمين خاصة وبناس عامة.. لم يأت ليدير مؤامرة ضد إسرائيل .." قال الضابط في خبث: "ولماذا لم ينزل إلا في القدس بالذات؟ "لأنه زارها في حياته.. وأقام له مسجد قرب كنيسة القيامة بعد أن رفض الصلاة في الكنيسة اعتراضاً لحرية العقائد .. لا أدرى كيف أفسر الأمر .. هكذا اقترضت مشيئة الله .."
عندما حاولت الاقترب منه.. ضربها بعصاها.. كان هذا أثمًا، وبه محضر في الشرطة.. والصورة الموجودة على صدر الصحيفة هي الأخرى خذعة.. تريدون أن تلوثوا سمعة الرجل، وتحطوا من هيئته..
ثم استعرضت في تشف وعند: «لا يصدقكم الناس، هم يعرفونكم.. وأتى تعلم أن ما كتب هنا كنت في كتب..»
قال الضابط في سخرية: "لقد حطم نفسه قبل أن نفكر في تطبيقه.."

فَهَمُتْ يَتَّبَعُوا مَا كَتَبُهُمُ النَّاسُ، وَمَا قَدْ كَانَ كَاتِبًا مُّنْطِقًا، وَجَاءَ بِهِ إِلَى أُمَّةٍ عَدِيدَةٍ.

في اليوم التالي فتح الضابط الزنانية، ورمى إلى صحيفة الصباح، وقال: "انظر ماذا فعل الخليفة الذي أتي لحكم بالبداعة والخلاص؟"

دق قلبي.. وارتعشت مفاصل، وزاغت نظراتي، لكني تخمسك.. وتحطت الكافرون.. صدقت الله العظمى..異
ولا أرى في عفون وقال: "دوعه يلهث كالكلاب.. لا تجدوا عليه بظرة ماء حتى يلقع أحذيتها.. إلا إذا اختار نعيم الجنة.. ها.. هاها.."

- "هذا ما حدث.."

- "لا يمكن.. أنا أعرفه.. تلك قصة مختلفة من أسسها.. هل أعتقد أن يتصرف أمير المؤمنين كفتى مراهق، فيختطف قبلة.. أو يقوم بحركة شائعة؟! أنتم تكتبون.. رأيته يصفعها

عمر يظهر في القدس ١٣٢

كتاب آخر
اختفت "راشيل"، واختفت أنا الآخر، علمت فيما بعد عن طريق الدكتور عبد الوهاب، أن الخليفة دهش لهذا الأمر، وبدا عليه قلق ظاهر، ومع ذلك فقد ظن أن عذرًا طارئًا، أو أمرًا هاماً قد شغلنا بعض الوقت، وكان يصرح من أن أتراك الأوضاع لا توجي بالثقة، وأنه لا يأمن شر هؤلاء الصهيونيين، لكن عبد الوهاب لم يجد بدًا من أن يشرح له سر اختفائي المفاجيء، فقال ممتعًا: "هذا تصرف شائع من السلطات، هم كذلك من قديم الزمان، إذا مكن لهم الله في الأرض عائلا فيها فسادًا، وأهدروا قيم الآخرين وحرياتهم .. أنا لا أخفى أن أصرح برأيي هذا، يجب أن يعرفوه .. المهم كيف نواجه هذا الظالم ..".

قال عبد الوهاب: "للجردان آذان يا أمير المؤمنين .. جاهز تعليقي وصاح: "فليتحرك المسلمون في شتى أنحاء الأرض .."

 دون ذلك أنوال وصعاب ..

أخذ يتمتم ببعض كلمات من القرآن: "يا أيها الذين آمنوا كيف تكلمتم الملكون وقومكم كيف تكلمتم أن تكذبوا خداكم وبه يبسط وأدرك لا تفستر .. صدق الله العظيم .."

وطفت إلي قائلًا: "الجهاد فرض .." - أصول السياسة الحديثة يا أمير المؤمنين تقتضي الثاني الزائد .. حتى تكمل العدة وتكتسب تأييد الرأي العام العالمي ..".

قال في أسى: "الرأي العام! يا لها من مأساة! لقد عرفت .. لا تنضن المستنفقات إلا بالعنف .. والباهلة الضارة لا تلد إلا أحكاماً متحيزاً .. وللذين لا يطغى إلا النازل .. دائرة مفرغة .. أنت تستعد .. وعودك يستعد .. أنت تحاول اكتساب الرأي العام .. وعودك يفعل نفس الشيء .. النصر الذي ناله يقلب ميزان العدل .. الحق في جانب الأقوياء .. استمع إلي جيدا .. الكفر ملة واحدة .. ما قامت حرب في الدنيا .. إلا ونٌدست أطرافاً عسكرية من الآخرين .. التفوق العسكري وحده لم يكن العامل الحاسم .. ما أكثر الذين انتصروا وهم أقل عددًا وعدة لأنهم كانوا أكثر إيماناً ..".

طالماً عبد الوهاب رأسه قائلًا: "نحن لا نحترم إسرائيل .. وحدها .."

- "أعني أنه لا مفر من الانتظار .. لقد طال .. ذلك يعني الهزيمة والموم .. لو احتد المسلمون جميعًا لهز هديرهم زبانية الظلم والطغيان .." تملأ في سريره، واستطرد: "القضية الأولى ليست السلاح .. والرأي العام .." - "ماذا إذن؟ .."
"إن العلاقة الأخوية الأصيلة لا تتقضى عليها أكانيب أو أراجيف...
ثم وضع السماحة وهو يرقب التليفون بدهشة: "أين راشيل الآن..."
"في القدس الجديدة...
"هذه آلة عجيبة لنقل المسافات.. سيحان الفنغم.."
"سُريتُهم Linguisti in الأفق.. فوق أنفسهم حتى يبنّون لهم أنفسهم صدق الله العظيم...
لم يعد هناك مفر من أن يسرد عبد الوهاب على أسماع الخليفة ما نشرته الصحف، لا يمكن إخفاء شيء في هذه الأيام، الأبناء الكانوية وغير الكانوية تمرح في المجتمع دون عواقب، أنها كالهواء الذي تنفسه.. عالم فضائحه يردها الناس كاحلى نشيد، ويعضون من الأمور التافهة حكايات طويلة
بوشونها بالأكاذيب والحيل والمماجع حتى تشير الأسماع، وتجلب الأتIZEE, شيء كالمخدرات.. تشيع القلوب المريضة...
وعمل عبد الوهاب على أن يدب الخلافة بكل شيء.. وبعد أن سمع الخليفة قصة ما نشرته الصحف، ابتسم في مرارة، ثم ضرب كفة بكف.. وقال: "عجب...
"لا تحزن يا أمير المؤمنين.. نوع آخر من الحرب الحبيبة..."

"أن يوجد الفرد المسلم.. ثم الجيش المسلم.. ليس هذا مجرد وجهة نظر شخصية.. إنه بديهة في ظل مبادئ الدين" ورق جرس التليفون، فائرع إليه عبد الوهاب، كانت المتحدثة راشيل، وكانت تتح في طلب الخليفة على عجل، لم يرحب عبد الوهاب لذلك، فطلب منها أن تنترك الرجل وشانه، وتنصرف هي إلى شأنها، لقد أحاطت الشكوك بها، ولم يعد المرافقون للخليفة راغبين في الاستمرار بعلاقتهم بها.
"أمسك الخليفة بالتليفون، وأخذ يسمع إليها: "لا تصدق ما نشرته الصحف"
"أعلم أن بضاعتهم زيف وكذب"
"صحف اليوم، أقرأ أتها؟"
"لا.."
"حسنًا.. إذا أتوا إليك بصحيفة، فابصق عليها ودنسها بنعالك...
قال الخليفة في دهشة: "لماذا؟ إنني حريص أن أعرف كل ما يمكن معرفته، فعلي أبلغ مبلغًا من العلم يساعدني في إصدار أحكامي...
"أرجوك..."
"وماذا يضرك..."
"إنهم يهدفون إلى تحطيم ما بيننا من علاقة..."
نظر الخليفة إلى السقف الأبيض المضيء وقال: «أتذكر حديث الإفك؟»
- «لقد ورد ذكره في القرآن، كان عن عائشة أم المؤمنين حينما رماها المنافقون والحاهدون والمخدعون بالإثم وهي منه براءة...»
- وحمس الخليفة: «كانت أيامًا رهيبة، عانى الرسول بسببها الكثير. إنه النبي، وقائد الأمة، ومثلها الأعلى، والطعن في زوجه بدين العرب أمر مهول. لهذا تولت العناية الإلهية الدفاع عن الشرفاء المؤمنين، وأخذ الأثمرين بكل شدة...»
- (أمل.. كانت جريمة كبيرا في حق عائشة)
- «والرسول أولا.. واليوم يأتون بحديث الإفك الجديد يريدون به هزيمتي وتحطيمي...»
- وعاد عمر ينظر إلى السقف ويدرك: «أتذكر شاعر اليهود كعب بن الأشرف؟»
- «أتذكر كان يشبع بناء النبي، ويترنح بقصائد العهر والافتراء في طول الجزيرة وعرضها...»
- «وكان عقابه الموت...»
- «أتذكر حبي بن أخطب زعيم اليهود؟»
- «أتذكر حبي بن أخطب زعيم اليهود...»
- «أتذكر حبي بن أخطب زعيم اليهود...»
لم تستطع كلمات الخليفة أن تبد، شكرت عبد الوهاب، كانت الأحاديث تجري، ولم يكن الخليفة يعلم أن السلطات الصهيونية قد أصدرت أوامرها للمستشفى ألا تسمح للمريض بالخروج إذا ما شفي إلا بأمر كتابي، ومن يخالف ذلك يعرف نفسه للضرر.
قال عبد الوهاب: «المستشفى محاصر برجالهم، وأنت سجين الآن...»
- لا تكتث، عندما تخبرني أن الشفاء تم، فسأخرج ولن يستطعي أحد أن يعتري ضنني...
- أنت تُبُشَّط الأمور، وهذا يزعجني...
- أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة...
- لكننا نريد أن تعيش.. أن تبقى...
- أمانيك طائشة.. الأمر بيد الله وحده.. وهو العالم الخبير...
ابتسم الخليفة في سعادته، وقال: «نحن سجناء.. لكن الكلمات تسري بين الناس، فيردونها ويحفظونها عن ظهر قلب.. وتحدث فيه تأثيرات عجيبة.. إن لله جنودا لا ترونهم لسوف أخرج إذ إن الله في الوقت المناسب...»
- وإلى أين تسير؟؟?
- إلى بيت من بيوت الله.. سأعتقد في أحد المساجد...
أو ربما أبحث عن عمل أرتقى منه.. ليس من مصلحتهم أن

عبير يظهر في القدس

(146)
تفجر حادث راشيل في أوساط القدس

عُرفت بالقنبلة الشديدة الانفجار، أثار ضجيجاً وغياراً كثيفاً، ونظامًا للاختفاء حديثًا، قال فدائي مستمر: راشيل عميلة للمخابرات الصهيونية والمخابرات المركزية الأمريكية، ولقد خُطفت في وقوع الخليفة وقنبلته حتى تعلته عن أداء رسالتها، وتوضع في طريقه العراق، بتشويه تاريخه وديثه. وقال الجامعة من مشوعي الحرب: إن حيل الإسرائيليين خبيئة، فقد عمدوا إلى حق الخليفة بعقار مخدر أو أعطوه عقار الهلوسة لس. فتأثرنا على تفكيره ومشاعره، وقال صحفي سمرح، ومحدث في الإذاعة قديم رفض التعاون مع الإسرائيليين: أقسم أن القصة مختارة من أسساها، ولا صحة لوثائقها إطلاقاً، لقد كتبها في عديد من الصحف بنفس الأسلوب، وز قد يكون صادراً عن جلسة من جلسات المفاوضات ..، وقال واحد من العلماء المسلمين الرسميين:

– ابن آدم خطاء، وأنع الخطايا إلى الله التوابون .. أما

أحد القساوسة في كنيسة القيامة، فقد علق: أنا احترم عمر، ولا أشك في نظرته، وإنني لا أتفق معه في العقيدة، لكنه إنسان كبير، رفض طلب الطريق حينما كان بالكنيسة وقت الأذان، أبي

مشاكل في المثيد ..

– أنت جندتي في المعركة ..

– هذا لعب بالألفاظ ..

– أنت يا راشيل خلفة في جهاز منظم نديق .. وأنا كذلك ..

– السياسة العليا للدولة التي تهيمن عليها جميعاً ..

عمر يظهر في القدس
المقدمة، ويقول بهدورته المثير: «تلك بداية الخلاص منه.. لسوف نتابعها بخطوات أخرى».. هل يخطر بالك أننا سنشعرون به؟ «عميل صهيوني» يخدم أهدافنا المشتركة مع أمريكا!!.. ولك أن تقدر رد الفعل العنيف بين العرب والمسلمين قاطبة.. سيكون ذلك قتيبة الموسم.. ولكي نحب الخطة، فسوف نغرقه بالهدايا والاحتراز، وسيقوم أحد كبارنا بزيارته سراً، لكن الزيارة السرية سيعرفها الناس بطريقة تلقائياً.. كي تكون أشد إثارة وتأثيراً!..
» هدته: «واجهة»...

ضحك وأردف: «ولسوف ننشر تصريحات محرفة عن سائره تتعلق بالدين والسياسة، سنجعله داعية للسلام بين العرب وإسرائيل، ولسوف يكون بنفسه القصة التاريخية القديمة إلا.. وهي طرد اليهود من الجزيرة العربية، لتناسب جو الصلح المنشود.. الأخير من هذا كله.. إعلانه عن أن «المصحف» المطبع في إسرائيل، الذي حاربه المسلمون لما فيه من تحريف، إعلانه أن هذا المصحف هو أصح النسخ وأدقها.. ما رأيك؟
قالت راشيل وجسدها يترفع كله: «هذا المبالغات والأكاذيب، ستتشابه بخيتكم»...

- «هذا رسم خبراء مدرسين يابلهاء.. هذا علم.. اشترك في إخراجه فلاسفة.. وعلماء نفس.. ومذاكرات.. وأحبار»...

قالت وهي تجمع أشياءها وتهم بالوقوف: «إني أنسحب»...
وترب نحوها، ثم أمسك بيدها، وأجلسها في لطف مفتعل:
» هل جانت؟
- «أنا لا أود عمل كهذا.. لا أستطيع»...
قهقه ساخر: «راشيل.. إني أعرفك.. أتحاولين اللعب بأعصاباتنا!!»
ثم تنهى قائلة: «كل ما نطلب منه ملك هو أن تبتلي بتصريحات للصحف والإذاعة والتلفزيون تؤكدون فيها الواقعة.. صرخت محتدة: «لن أفعل»
- «هذا تصرف غريب.. أنت مغروسة أم مخدورة؟ ومع ذلك فإنه يمكننا الاستغناء عنك نهائيًا.. لسوف نكتب للصحف تصريحات منتظمة ونعزوهما إلىك»...
» هتفت: «هذا خسة»...
- «إنها الحرب بإفتاء.. تنكري شقاء السنين الطويلة»...
- «سوف أعد الحقيقة على الملا.. وأكشف كنكيما»...
- «عبئَ تفكرين.. ستكونين محددة الإقامة.. حولك الحراس»...
أخذت راشيل تسب وتلعن، وتضرب بقبضتها الراهنة صدر الضابط الكبير، وتعلن اعتقراها واشتمزها، والضابط يبتسم في برود غريب، ثم يلوي ذراعها، ويجلسها مرة ثانية على

"كاب النمر"
هذا ما يبرره قال لها الخليفة ذات مرة: شرف الأسلوب مرتبط بشرف الغاية .. الغايات العظمى لا يبلغها الشرفاء إلا بالوسائل الطاهرة .. يغعف يا خليفة. عدو يحمل مدفعاً رشاشاً، ولن أستطيع مواجهته بصفعة هزيلة .. ساواجه به نفس سلاحه .. لا منفر .. ودنت راشيل إلى رجل المخابرات نظرات لعوب مدرية وقالت: "وكم ستدفعون لي؟

- ما يواري مرتقب أسرتك كلها عشر سنوات ..
- والقدم ؟
- خمسة وعشرون بالمائة
- على شرط ..
- طوقع أمرك يا راشيل .. يا نجمة المجتمع الإسرائيلي !!

قالت وهي تخفض رأسها في حيرة: "لن أصرح بشيء لأي صحفـي .."

- لا تتغق .. ستنتول أمر الصحف ..
- والآن دعني أذهب إليه ..
- حدار أن تنفسي ما تنثره ..
- لن ألتقي بأي صحفي .. أريد أن أذهب إلى الخليفة ..

أخبرها بأن تؤجل ذلك إلى حين، ثم أصطبجها معه إلى المعتقل الذي أنزل به في اليوم التالي، ويبدو أن المخابرات قد رأت أنه من الصالح إطلاق سراحه، كأعيد لملازمة الخليفة .. وخاصة أنهم لم يجدوا لذي جديدًا برغم ما بذله من جهد .. وما

ثم ضيق عينيه ونظر إلى راشيل في غضب: "لكن لماذا تدافعين عن الرجل بكل هذه الحماسة والحرارة .."

- لأنه مظلوم ..
- إنه خطر يتهددنا ..
- أوقفوا الخطر بإجراء قانوني أو أخلاقيا ..
- الأخلاق تفسد السياسة .. والقانون بطيء متردد .. نحن في حرب يا راشيل ..
- يا فجراكم ..

ضحك ساخرًا: "أنت تعلمني بديلة بين ذراعيه ."

- لقد تطورت من غيراتي الأثمة ..
- مستحيل .. أنت أمرأ ء ..
- اللعنة عليك جميعا ..

نفخ في ملأ وأذراء ثم قال: "فكري في الأمر .. أنت ألمنا الأكبر في التنفيذ .. لقد جعلنا جدًا أكبر في صنعك وإعدادك .. إذا خسرناك خسرنا الكثير .. تذكر أن إخوة لك يمرون في ميدان القتال كل يوم من أجل أجيالنا .. وحيث يمرون لا توجد أخلاق أو قوانين .. يجودون بدمائهم، وتابعين أنت أن تجودي بضع كلمات .. الكلمات في مواجهة الدم لا شيء .."

وساد الصمت، كانت راشيل تفكر، إنها لا تريد أن تتبع أن الخليفة .. وفي نفس الوقت تريد حمايته، فلم لا تتعامل أبناء جلدتها بنفس الأسلوب الذي يعاملون به الآخرين .. إن لتصرفها ..

 عمر يظهر في القدس

101
ثم صممت برهة وقالت: «أتعرف أن الإسلام حق...»
- «كيف؟»
- «ما رأيته في المخابرات لم يكن أقل تأثيرًا في نفسي من كلمات عمر... حددوا وانحرافهم برزًا لي على وجه مدير المخابرات... لقد كان العار مجمعًا... أنظر وجه عمر... ثم أنكر ذلك الوجه القبيح الآخر... فيزداد إيماني بالإسلام...»
- ثم مدت يدها إلى فجوة وقالت: «فلتعهد على حماية الخليفة من غدرهم، ولكن إخوة صادقين متحابين...»
- «أعاهدك...»

لست أدرى ما الذي قذف بكلمات الدكتور عبد الوهاب يوم رأى عمر لأول مرة، لقد ذكرتها الآن، وأخذت أرددها بصوت خفيف: "كان الطريق وعرًا، متهوّجا بالنار والغذاب والقلق... اتخذت العقل وحده رفيقًا... شعرت أنني فقدت جانبًا رائعًا لا يدرك إلا المخلصون الباحثون عن نور الحقيقة... الخرائط في يدي وأنا أسير... وأسرع... حتى سقطت إحياء، وعيناي معلقتان بالسماء... جرعة ماء... أين؟ أبحث عن نيل... لا أجد... سمعت في البرية ينادي: "من أعرض عن ذكرى فإنه له مشيئة ضمنك... وحشره يوم القيامة أعمى"... وعرفت الطريق يا ابن الخطاب... البصر والبصيرة... الروح والمادة... العقل والعاطفة... الوجود الحق بكماله... أنا أبحث عنك من قديم...»

ووقفت مذهولًا أمام هذه الفتاة اللغز... ألحجك لها أم عليها؟
- وقال راشيل: «لن أتخلى عن ديني الجديد»
- «إنه التكافل والأعباء... والتضحيات الكبار...»
- «أعرف... لقد رأيت وسمعت...»
كان غريباً ألا يكون للأكذوبة التي روجت لها الصحافة إلا صدى هزيلأ.
وقد أزعج هذا سلطات الأمن أبداً إزعاج، وبذر في نفوسهم قلقاً مكتومًا، ولقد صرخت «راشيل» في إحدى مدارس البنات الثانوية في القدس بأن القصة التي تزعم الاعتداء عليها قصة مختلفة من أساسها، وأن أوهامًا مريضة حاقدة قد نسجت خيوطها من محض الخيال والافتراء، وأكدت النتيجات أن عمر على حق، وأنه من رجال الله الأتقياء الشرفاء، وأنه يحمل في قلبه حبًا كبيرًا للناس، ويتصرف عن يقين وإيمان، ويمشي على هدى ونور، وأن الله قد وهبه الكثير من الذكاء والخلق العظيم، ولديه قدرة خارقة على الإقناع، وهي لا ترى فيها رجلًا مثله، وتعتقد اعتقادًا جازمًا بأن مثله هو الكفيل بإنقاذ البشر مما يعانونه من بلبلاة وشقاء وحيرة، وروت لهم قصة إسلامها من البداية للنهاية، والحوادث الذي كان يدور بينها وبين الخليفة، فتركت في نفوسه انفعالًا ملحوظًا، وشدت انتباه الجميع إليها.

وقالت إحدى الطالبات: «لكنه منحاز للعرب»

عمر يظهر في القدس
قالت راشيل: "يا أخواتي، هو منحاز للحق، ويكره الظلم في شتى صورته وألوانه، بصرف النظر عن شخصية الظالم. "

"هذا عصر العلم، لا عصر الدين..." 

قالت راشيل في شيء كثيرو من الانفعال: "يقول الخليفة ليس في ديننا خصام بين الدين والعلم: لأن منهج الإسلام منهج عقلي، ينتمي بالإجماع والبرهان والتأمل وينسجم مع الفطرة السليمة. قضية الخصام بين الدين والعلم قضية حداثة من صنع أوروبا حينما استخدم العلماء هناك مع رجال الدين من أجل النظرات والمكتشفات الجديدة. هل فين من تذكر أن علماء الإسلام منذ قرون أسسوا علوم التجربة والمشاهدة في مجال الفلك والرياضيات والكيمياء والطب. اين سينا بن الهيثم. ابن النفيس. ابن حيان. ابن خلدون. وغيرهم..." 

قالت فتاة أخرى: "الدين ينجر إلى التعصب، والناس يجب أن يكونوا إخوة بغض النظر عن الفروق بين الدين والدين والدين والدين..." 

ضحكت راشيل، ونظرت إلى الفتيات وابتسامة: "يا أخواتي...نحن بلا دين الآن... هل اختفت التعصب؟ ومع ذلك فلن أقول إن الدين الحق لا يعرف التعصب الأعمى! المنحرفون في كل الأديان هم الذين يعانون في هذه المباداة. ومحمد يقول ليس منا من دعا إلى عصبية. ولا يكمل الإسلام المسلم إلا إذا آمن بموسى وعيسى ومحمد وجميع الأنباء والكتب المقدسة من قبل، فهل فعل دين آخر مثلما فعل الإسلام!!" 

قالت فتاة أخرى فكركت ضحكاتها: "ورأيه في الحب يا راشيل؟" 

"إنه يريد أن يعود بالمرأة إلى عصور "الحريم المظلمة." ردت راشيل في ثقة: "المرأة في نظره إنسانة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، لكنه يرفض تبنيها وانحرافها. ولا يعتبر ذلك تحرراً، وإنما هو ضرب من الإيراد والإفساد والحيوانية. يضر بالفرد، ويتوجه سلامة المجتمع. بل يخطط من شأن المرأة نفسها. المرأة في عصور الإسلام الأولى كانت محاربة، ومضمدة للجراح، وشاعرة، ومتفقة في الدين، تروى الحدث، وتشارك في الأحداث، ويوخذ رأيها..." 

 وقالت طالبة ثالثة: "موضح أنه متمسك بالنصم التي سادت العصور القديمة، والحقيقة أن ما يصلح لزماناً مضيًا، لا يصلح لزماننا هذا..." 

انطلقت راشيل قائلة: "هذه دعوى ظاهرها الحق، وباطنها الباطل... إنه لا يتمسك بنظام، بل بمباديء وقيم. فالعدل ليس فيه قديم وحديث. وكذلك الحرية والإفراح والمحبة... تلك القيم هي الأرنيج الذي يغسل قلب البشر على حقب العصور والأزمان، وهي الدروع الواقي لكرامة الإنسان في كل وقت..."
من متاعب وألم على أيدي المخابرات الإسرائيلية، والنجاح
يجلب الألفام القديمة إلى مجرد نكرو حبيبة، لكن الأسف فوجئنا
بعدم رجال الشرطة ومعهم أولياء أمور الطالبات، فتحمل
الحلم الجميل، وسمكت الفتيات تحت رأب من الشتائم والصفعات
على بيوتهم، لكن دموعه الغزيرة كانت تتنبأ أملًا لا يرود على
مر الأيام، ولم ينشر الصحافة كلمة واحدة عن هذا التصرف في
اليوم التالي، لكن الأحزاب الإسرائيلية دعت أعضاءها
اجتماعات عاجلة، كما صدر أمر بتحديد إقامة راشيل، وجاء
بعض الضباط الجدد - منهم "إيلي" - ليحرسوا الخليفة،
وإلازموه بعيون يقظة.
وقال لهم الخليفة: "إني أبحث عن شيء ...
قال إيلي: "ماذا؟
- "أين الحرية في عالمكم؟
- "إنها شعاراتنا ...
- "الشعار شيء .. والسلوك شيء آخر .. لا حريه بلا
ممارسه .. تترنمون بالحرية .. وفي نفس الوقت تقفون في وجه
الدعوة إلى الله .. وتعاقبون الناس إذا جروا على اختيار العقيدة
التي تتفق وعقلهم وفطرتهم "
قال إيلي في غضب: "إنك تغرر بالفتيات الصغيرات ..
ومحايتهن منك لا يضاد معنى الهجرة .. إننا نحاصر وباء
يوشك أن يدمر المدينة .."

لنا السؤال، وأدركت ماذا تقصد الفتاة الخليفة، لكنها
اعتصمت بالصبر والحكمة وقالت: "الحب له جالبان حيواني
وإنساني .. الأول ينظم الزواج، والثاني عاطفة عظمى يخفق
بها قلب المؤمن لبني الإنسان .."

ونشرت صحيفة معارضة حديث راشيل في مدرسة البنات
بالكامل، لكن الرقابة الإسرائيلية صادرت الصحيفة بإيحاء خفي
من المخابرات العامة، وكان هذا كفيلة بأن يرفع سعر النسخة
إلى عشرة أضعاف، وكان الناس سواء العرب أو الإسرائيليون
يبحثون عن هذه الصحيفة في متناولها، ويتداولونها سرًا،
وكأنها منشورات خطيرة معادية، أو كانها مخدراً ممنوع
بعبدها، ولم تلتزم الدراسة في هذه المدرسة في اليوم التالي
الأيام الثلاثة التالية بعد ذلك اللقاء المثير، فقد احتمد الجدل
واستخبعت الآراء، وأفلت الزمام من يد الإدارة .. وحدث أمر
كان له دوي هائل في أوساط المدينة المقدسة، فقد ذهبت عشرة
فتيات منهن خمسة من اليهود، وآثنت من المساجيدين، ذهببن
إلى المستشفى لمقابلة الخليفة، وطلبن اعتناق مبادئه، والتعلم
على يديه، وقد استقبلن الخليفة راضياً بعصم ..

كانت أقف إلى جواره، ومعنا "راشيل" .. والمَدْكُور
عبد الربه .. كان مشهوراً رائعا .. بل كان أروع مكافأة لما عانينا

108

عمرو يظهر في القدس
قال الخليفة في نبيرة وأسى: «أنت على شيء من الصواب، لكن، هل هم مسلمون حقاً؟! لم نظهروا الإسلام، وسأروا على نهجه لتحول الضعف إلى قوة، والذل على عزة... العيب عيب الرجال وليس عيب المبادئ...»

وكت إيلى على أبنائه مغتازًا: «تقلسفون خيكم، كل ما أعرفه أنت في أوج العلا، وأنت في الحضيض...»

هدر الخليفة: «أيها الخنزير... ولله العزة ورسوله والمؤمنين» إن أية قوة غاشمة، لا تستطيع أن تطمئن الثور الإلهي إلى الأبد...

اقترب إيلى من الخليفة، وعلى وجهه تعبير الشماتة الصراخ: «لن ترى راشيل بعد اليوم. أشرق وجه الخليفة بالسعادة وتتم: «هذا أمر لا قيمة له، لم تعد راشيل في حاجة إلى، إن معها الله، وهو القوي المتنين، أتفهم هذه الكلمات. كان «بلاغ» وحده... وكانت هناك امرأة يقال لها «سمية»... وياسر... وعمار... كانوا وحدهم وسط صخب الكفر وحشوده... إن قريشاً بكل ما تملك من مال وقوة وحيد لم تستطع أن تزيل إيمان أحد منهم... أتفهم؟! لم تعد راشيل في حاجة إلى أحد بعد أن استغنت بالله عني وعنكم...»

سعد إيلى إلى الخليفة نظرات ذنب شرس، وأخذ يتحرك هنا وهناك في عصبية، ثم يوقف ويبيع للحركة، وفجأة قال للخليفة: «أنت تشتهيها...»

ابتسم الخليفة في رفاه وقال: «الفضيلة وباء، لكن خذ الفتيات تحت «الشجرة» والبيت بهن حرية وأخلاق... بأين الحضارة العفنة...» انتفخ «إيلى» من شدة الغضب، ووضع يده على مسسه، وأخذ يصر على أبنائه، لكن زميله، جره من ذراعه قائلًا: «اعقل»

وتنهد الخليفة في حسرة: «لو كان لي جيش قادر لخرجت لتادبب أعداء الفضيلة والحرية، وفتح الطريق أمام الكلمة الشريفة ياجليلي الحكمة... هذا ما حدث أيام الرسول... عندهم... وسطه... وقسا على صحابته... وخاصة الضعفاء منهم والبيض... وطردوهم... وسلبو أموالهم... فحملنا السلاح دفاعًا عن النفس والعمر وحرية الناس في أن يعتدوا ما شاءوا... كنا نزيّل أسوار السجون التي بناها السادة والملوك لقهر البشر... ومع ذلك فقد جاء من يزعم أننا نشرنا الإسلام بقوة السلاح... وهم يعلمون أن شعاراتنا: لا إكراه في الدين...»

رما إيلى بنظرة حارة: «أمن الدولة فوق كل اعتبار»

ابتسم الخليفة قائلًا: «وأما الدولة؟ مجموعة الأفراد... ولعندما يشكي هؤلاء فستكون الدولة كلها شقيفة ثقة... لكن الدولة في الحقيقة حسب تصوركم في الحاكمون وأهوائهم»

تصبح إيلى في غضب وآخر يقول: «نحن نعرف طريقة جيدة... لو كان في دينكم خير لما كان المسلمون في هذه الأيام أول الشعوب وأكثرها رجعية وضعفًا...»
الغفالية الإرهابية ومستنكرها، ويدعو إلى الصلح والسلام بين دول المنطقة بما فيها إسرائيل.

لكن حدث ما لم يكن في الحساب، فقد تكونت جماعة سرية أطلقت على نفسها "جماعة أنصار الخليفة" وأخذت تطبع المنشورات وتوزعها في كل مكان، وتلصقها على الحيطان، وتضعها في صناديق البريد، وتتردد فيها على الأكانيث الإسرائيلية. وتحدث السلطات أن تسمح لمراقب الصحف الأجنبية ووكالات الأنباء كي تحقق الأمر بنفسها، وتلتقى مع الخليفة، وقد أزعجت هذه الجماعة سلطات الأمن، وأتفقت مخططًا، وأفسدت كل تدابيرها.

ولم تحم الشكوك من حولي، فقد كنت مراقبًا من قبل المخابرات، يعرفون كل تحركاتي ومقابلاتي، والحق أن الذي لعب الدور الأكبر في تنظيم هذه الجماعة هو الدكتور عبد الوهاب السعدو، وكذلك راشيل برغم تحديدها إقامتها، بل قامت لجماعة فروع لا تربطها بناءً أي صلة، وسارت على نفس النهج، وكثر أن بعض الإسرائيليين أخذوا يتصرفون بطريقة لا تصدق، فقد بلغت بهم الجرأة مبلغ مناقشة الأمر في الشوارع والنوادي، وانقسموا إلى مؤيدين ومعارضين، وإن لم يتجاوز حدود المناقشات دون الأفعال الإيجابية.

ولم تكن أسرة "راشيل" آسفة لحجزها بالمotel، لأن الاعتقاد السائد، أن أي تجربة جديدة تخوضها أبنها، ستكون

- "أنت تنسى الأمور بموازنتك الخاطئة.."
- "بل تشهدها.."

يريد أن يثر الخليفة، ويشع غضبه، قال الخليفة: "ما جئت لديني أن نذر من تحا.. عناق الأرواح لذة أبدية لن تزول.. والحبار الطاهر أعذب لحن تعزفه القلوب.. أنفههم ذلك يا إيلي.. لو أردت الزواج منها لتم ذلك على الفور.. لكن الراشد لا يكتب أهله، وغابتي الله.. لن تتعلق نفسي بشيء من الدنيا..".

ونظر "إيلي" إلى مقصمه، وقال في نشف:

- "لقد سجلت حديثك كله، وسوف يدينك هذا الكلام، ويحملك إلى حبل المشنقة."

ضحك الخليفة ضحكة خفيفة: "لقد جربت الموت.. وجدته رحلة رائعة إلى العالم الآخر... أنا أقول ما أعتقد، ومسترد لأن أكرر نفس الكلمات وأزيد عليها في أي مكان وزمان.. أريد العالم كله أن يستمع إلى كلماتي.. أتفهمون يا خراف بني إسرائيل الضالة?".

وعمدت المخابرات إلى تنفيذ مخططها المرسوم، حتى توهيم المسلمين أن الخليفة ما هو إلا عميل صهيوني بارع، وتسب عليه أقوالهم لم ترد على لسانه، وزعمت أنه يشجب الحركات...
عندما نشرت الأنباء الأولى عن ظهور أمير المؤمنين في القدس، استقبلت الصحف العربية والإسلامية النبأ بتحفيظ بالغ، ففي مراعات صغيرة بالتصريحات الأولى كتبوا النبأ المثير تحت العنوان التالي «يزعم أنه عمر بن الخطاب!!» «عمر في القدس!!» بدعة إسرائيلية جديدة ... إلى غير ذلك من العبارات التي تمتلك معنى السخرية والشك، وعندما كثرت الأحداث، وعمدت الصحف الإسرائيلية إلى نشر بعض التفاصيل، وأبدت وكالات الأنباء اهتماماً بالأمر، فيما يشبه القيادة دون تعليق، لكن إحدى الصحف كتب دراسة شاملة - في حلقات - عن خليفة المسلمين وجهاده وحروبته وحياته الخاصة والخاصة، ثم صدرت بعد ذلك كتب تعالج مختلف النواحي في حياة الخليفة منذ قرون، منها كتب صغيرة في سلسلة كتب الأطفال، وأعيد طبع كتاب «عبقرية عمر» للعقائد، وكذلك كتاب «الفاروق عمر» لمحمد حسين هيكل، والمسرحية الطويلة التي كتبها علي أحمد باكثير، وسريع كتب المساهمات بإعداد حلقات المذياع والتلفزيون، ولم يقتصر خطابه المساواة ووعاظهما، إذ أبلوا بيوتهم في الدلاة، بل إن بعض وزارات الأوقاف بالدول العربية قد أعدت خطبة رصينة بهذه المناسبة، ووزعتها على الخطباء التابعين.

وماذا تلقى بالمزيد من الأحداث، عند كتابة المذكرات ... وكانت أسرتها تدافع عنها، لا عن اعتقاد بسلامة موقفها - فهم يرفضون إسلامها، ولا يصدقونه - ولكن حبكًا للمسرحية الشائعة، وضمانًا لنجاح الصفقة.

ومع ذلك، مصادفة أن الدكتور "ويلوب عبد الله" قد اختفى منذ خمسة أيام، وقيل أنه في أجازة دورية لأسبوعين، وعلمت أيضًا أن العلاقة العاطفية التي تربط بينه وبين الحكيمة رجاء، قد تعرضت في الأيام الأخيرة للانهيار، على أثر مناقشة حادة بينهما عن الخلافة ...

راودتني الشكوك من جراء احتفاظ وهيب. يخيل لي أنه ناعم الممس، ولكن له أنباب ثعبان، يكره الدين والمسمترين. أيمن أن يكون قد بدأ يمارس نشاطًا مختلفًا معالجًا بالاتفاق مع رفاقه في الحزب؟ إنه يصرح دائمًا بضرورة القضاء على التيارين الدينية، وخلق ثورتها المضادة قبل بلوغها مرحلة القدرة والتنفيذ ... يجب أن أفكرين في كل احتمال... ليتني أعرف طريقه!!

عمر يظهر في القدس
خطتهم، ولبسو رداء الجد والاهتمام، وأخذوا يكتبون عن اشتراكية الإسلام، وعن أتجاه اليسار في العصر الأول، لقد كتبوا عن عمر بأسلوب مستخدم مستخدم المصلحات الخاصة بهم، مثل: حكم الطبقة، وصراع الطباق، ودكتاتورية البروليتاريا، والمادية الجبلية، والعنف الثوري، والتصنيفة الدموية، وصراع المتناقضات، والتحاليل البرجوازية، والانتحام الجماهيري، وتغذير الشعب، وتحالف الإقطاع مع سبأ الأندي، ومستغليها، خليط عجيب من المصطلحات العلمية والفلسفية، يُنس في خضمها اسم عمر، وكلمة الإسلام.

كانوا يأخذون بعض الكلمات المتأورة عن عمر، ويكتبونها بأحرف جميلة كبيرة، وسط مربعات أو مستطيلات أو دوائر مزخرفة، ويعلقو عليها تعليقات تبدو عبارة موحية، ومن أخطر ما قرأت في تلك الأثناء تعليقًا لكاتب شاب معروف بعمله: إن كلمة عمر الخالدة: لو عثرت بلغة في العراق لستت عنها أمام الله لم اسأ لها الطريق، تفتح الطريق أمام "روحية شاملة"، بعد نظر، وإحساسه العميق الفظي، موقع العراق مع الجزيرة العربية، وغيرها من الدول العربية، وتبث في ثنايا الكلمات مسئولية الحاكم - الممثل للطبقات الكبيرة - أمام أصحاب الحق والمصلحة في حركة التاريخ، وكلمة "الله" هنا رمز (هذا)، إذ تعني بالضرورة: سلطة لها، وحرص المسؤولون، وهم يعدون هذه الخطبة على مراعاة شتى الظروف، وإظهار الخليفية بمظهر التقدمية، والحرص على مصالح الجماهير الكبيرة، والضرب على أيدي المتطلعين أو الجامدين من رجال الدين، وهيثمة البريد هي الأخرى، أخرجت بعض الطوابع التنكرية التي أعتبرت آية في الروعة والفن، كما شارك الشعراء، وكتاب القصة، في هذه المناسبة، فانشروا أرث القصائد، وكتاب القصة، وتقدمت بعض الشركات السينمائية إلى الجهات الدينية المسؤولة بطلب تصريح لإخراج "فيلم" عن الخليفة، وحتى يمكنهم من إظهار شخصيته على الشاشة القضية. فاشترط علماء الدين مراجعة القصة، والفيلم وكذلك السيناريو والحوارات. قبل العرض على الجمهور، وقد كانت هناك نتائج قوية لبيئة العلماء بعدما اتضح أن الرسول، أو صحابه على الشاشة أوضحbble المسرح، فأخذ الجدل يتصخب من جديد حول هذه النقطة، واختلف العلماء، وجمى النقاش بينهم...

لكن كتاب "اليسار" قالوا الموضوع بشيء من الاستهانة والسخرية بادئي ذي بدء، ولم يعلقوا بغير الرسوم الكاريكاتيرية الضاحكة، فهناك صورة لعمر ملك بسيط ويُطارد لابسات "البيكيني" على الشواطئ، وأن السؤال هو، وهو يجد أحد الزناة في ميدان عام، وثامنة، وهو يقطع أدي حضبة من اللصوص، غير أن الموجة الحارة الأخيرة في النمو والانتشار قد هزت مقاعدهم، وزلزلت الأرض تحت أقدامهم، فغيروا...

 عمر يظهر في القدس ١٦٧

 كتاب الخطأ ١٦٨
الطبيعة التي استشكلت حقوقها ومصيرها من يد العفن الإقطاعي، والرأسمالية الداعرة الخائنة. في مجتمع مكة الاستقلالي، وكمة "بغلة" نفسها توجي بحس مرهف صقلته التجارب عبر المسيرة الثورية الأصيلة، تنكننا بشفافية الفنان الروسي تشخويف وواقعية الروائي الأشهر مكسيم جوركي. 

إلى خليط غريب، وتفسيرات لا أستطيع أن أخرج منها بمعنى شامل يرتبط بحياة الخليفة وسياسته وعقيده.

حتى السجون والمعتقلات شاع فيها النبا. وزم المجرمون وتجار المخدرات والقصص، أنه سيصدر عنهم عفو شامل لحماة، بهذه المناسبة السعيدة، ووجدوا من يقول لهم: إن عمر قد أبطل حد السرقة في عام المجاعة، وكان لايعاب اللصوص في تلك الفترة، وأنه عادل رحمه يهدي سبل العيش الشريف لكل المساكين والفقراء وذوي العاهات، إنه حبيب اللصوص والعصاة والمظالمون. وكف السجناء المزمونين عن تزيد أساطير أبي زيد الهلالي، والأميرية ذات الهمة، وأرسين لوبين، وأخذوا مسيرة عمر الفارس الهمام الذي لا يشفع له غبار، والحاكم العادل الذي قضى على الظلم والفساد، ودون خ الفرس والروميان، وأخذ من الأغنياء ليعطي الفقراء، قضى على المحسوبية والرشاشوة.

وحتى محلات الأزياء الحديثة، حيث يباع الميني جيبي، وأدوات التجميل الفرنسية الصناع، نظروا "أوكازيونات" بهذه...
لا يصح الخوض فيها إلا بعد أن تتخذ الحكومات قرارات بإذهال وقائل آخر: لو كان هذا الإنسان عمر فعلاً، لتولى على العهد مشيخة الأزهر، وجر على الكثير من المتاعب بسبب تشتته وزهده ومصرحته، وسخر من بيوتنا وماضية بناتنا وزوجاتنا، بل لحاول جلدهم.

وثالث علق قائلًا: هذا زمان الفسق والفجور والفسور الداعر، والعهر الفكري والنفي والأخلاقي، ولمكان لعمر فيه وسيلقت من المسلمين أنفسهم حربًا لا تاقل عن حرب إسرائيل له، لكن صديقًا له رد قائلًا: إن هذا الزمان بنقاءه، وانحرافاته أنساب منان لظهور رجل كريم، كي يلزمها الجادة، ويأخذ بيده إلى طريق الخير والفضيلة والعدل ...، وعالم آخر قال الأمر كله أكذوبة ولا شيء غير ذلك ...، ووصفت كبير عضو بالمجلس الصوفي الأعلى قال: لا يراونتي شك في أنه عمر بن الخطاب نفسه، تلك كرامات من الكرامات، أو مظهر من مظاهر قدرة الله التي لا يدانيها أحد ...

وأهتمت الصحافة العربية والإسلامية في مرحلة تالية بقصة "راشيل" وأهتمت الصحافة الإسرائيلية بمباراتها للعناصر المشروفة. وتشويه اسمها، ونسج الأكاذيب حولها، وحليلهم على ذلك تكنيب "راشيل" لكل ما نشر بالصحاف المعادية بهذا الخصوص.
جَلَّ.. نجحت إسرائيل في بلغة الرأي العام الإسلامي كما تفعل دائمًا، ولم تكن قادرة على أن تحقق ذلك النجاح لولا سناجة المسلمين، ومناخهم الفكري والسياسي الصالح لنمو هذه الفتن واستشرائها...
اتخذت الاستعدادات، وأخلت حجرة الخليفة، ودخل الصحافي الكبير، ترافه إحدى المحررات التي تجيد العربية،
وابتدأ الصحافي قائلاً: "الصحافة في خيمة الحقيقة" - لكل حقته يا رجل، ولقد رأيت بنفسك كثيرا مما تسموه حقيقة، فإذا به ذيف وكذب...
ابتسم الصحافي، ثم قال:
- إنها تحب تعبير عن رأي الشعب
- بل عبد نليل في خدمة المصالح والإنانية...
- واستخرج الصحافي بعض الجرائد قائلًا: "انظر... هذا مقال يهاجم الحكومة...
نظر عمر في المقال وسمع للصحافي وهو يقرؤه ثم قال الخليفة: "فرق شاسع بين الهجاء والنصيحة... لقد حبست شاعرنا الجميلة عندما جعل من شعره نبرًا للسب والفحش..." مالت الصحافية على أدن رئيسها قائلة: "لندخل في موضوعنا مباشرة... إن كلماته كالرصاص...
هز الصحافي رأسه وقال: "من أنت؟"
- عمر...
- أكنت ملكا؟
- بل خادم لأمه محمد، حملت في عنقي أمانة تنبوه بحملها، الجمال... دعوت الله أن يقضني قبل أن يضعف جسدي، أو يضرب فكري... فاستجاب لدعائي..."
nezت الفتاة رأسها في ميوعة وقالت: «الحب ياما أمير ..
لم ينظر عمر إليها وقال: «له معنى كبير ..
- كيف ؟
- لا يولد إلا في قلب المومن
- والملحدون؟ ألا يعرفون الحب ؟
- لكم دينكم ولي دين ..
- لم أفهم ..
- لغثك غير لغتي .. أنا أتكلم بلسان عربي مبين
- وأنا ؟
- «ًنة ترتدي ثياب امرأة ، كلبك يلقي بهما يضحك بالأهواء العربية .. أنا أبحث عن قوم يجردون الكلمات من استعياراتها الحيوانية .. وإيجاداتها الخفية ..
قهعت المرأة في دمها وقالت: «إنه يعرف في النقد الأدبي يا أستاذ ..
- أنتحب راشيل يا أمير ؟
- تضابيقني يا فتاة كلمة أمير ..
- لن أعود لها ..
- أحب راشيل .. كما أحب أح أي مؤمن صادق في أي طرف من أطراف الأرض .. دون أن أراه ..
قالت في غيظ: «راشيل .. الأثم ..
- لم أفكر مطلقًا في الزواج ..

عمل يظهر في القدس
يتعبد على منصة القضاء، والحاكم العادل عابد وهو يمسك بميزان الحق بين البشر...

وقالت المحمرة: "أي رسيل لله تفضل؟"

- "لا تفرق بين أحد من رسله ..."

وحاول الصحفي استشارته قائلاً: "كنت تكره يهود الجزيرة ..."

- " kot أكره الظلم والفساد والخيانة ..."

- "أنت متعصب ..."

- "للحك وجد ..."

- "وأت واصلت الحروب، وأسلت الدماء ..."

- "رماء الخليفة بنظرته ذات معنى وقال: "قاث لي الجراح لأبد من استض卧 "الزائدة الدودية" الفاسدة كي تعيش ... حملت أسور السجون التي يرزع خلفها البشر التعباء، وفتحت الأبواب ليتدفق النور ويبعد الظلمات أتت أن تبقي الأسور، ويسود الظلام، وتحيا بزايدة دودية متعفنة؟ لا إكراه في الدين ...

- "وهب攀升ي وافق وقال: "يا للمصيب! أهذا مجنون؟ مستحيل. ... من الخلافة التي يتحدثون عنها!!"

- "وانحنى الصحفي أمامه في ذهول قائلاً: "أنت عمر؟"

- "نعم ..."

قالت المحمرة: "أسانعيا انتستاذ عن جرح فيتنام ..."
اهتمت النواحي، وتكترب الجو، واختلط الأمر على الناس، وأعلنوا في عجز: "إنها ظاهرة غريبة..."

- "ذلك جهد المقل... الطائر يعلو... والتسير يحلق قرب القمر... وطائركم تمتدّي السحاب... وتخرجون صافحاً وجه القمر... قدرات متباينة... لا شيء سوى أنها جديدة... أعرف أنه كان حلمًا... لكنه ليس رخصة للجحود بخالق الإنسان... والأرض... والقمر... والعناصر..."

- دارت رأس الصحفية، لمتت في عينيها دمعتان، ارتفع جسدها، صاحت مستنذدة: "هيا بنا يا أستاذ... أكاد أسقط إغماء... وأوشك أن أؤمن بهذا الرجل..."

- جذبها من ذراعها وانتشل في قسوة: "ما هذا العبث... تماسكي... لم أت لئن أؤمن أو نكفر... جئنا لنؤدي عملاً صحفيًا... مهمة... أنتم في جلست على مقعد قريب وبيدها على جبهتها...

- وقال الصحفي العبوز: "من أين جئت؟"

- "كما يأتي البشر... لا عرفة بالمكان...

- "إلى أي شيء تدعي أن تدعو الناس؟"، مد الخليفة ذراعيه، وبسط راحتلح، وقال: "نعم الله، ولا نشرك به شيئاً...

- "أريد أن تقول للجمهور شيئاً..."،

- "قلت الكثير... ولا شيء سوى: وقل أعملوا فسيري الله عملكم ورسوله..."
القسم ١

طال احتجاب «راشيل»، وشعرت أسرتها بالضجر والغيرة، وخاصة بعد أن نشر الحديث الذي أجراه الصحفي العجوز والمحررة الشابة، التي أثارت الاهتمام بتصريحاتها، وإظهاره الميل لما يقوله الخليفة، وتسليط بعض الضوء عليها. وهدد والد «راشيل» سلطات الأمن بالقبض على أشخاص يطلقون نداءً إلى القضاء، ورفض تجديد إقامتها دون مبرر كاف، وكان يرد دائمًا أن ابنتها لها الحق في أن تقابل من تشاء وتعتقد ما تشاء، وأن الخليفة ليس بالشخص السيء الذي يثبت إدارته في ارتكاب عمل حقيقي، يعتبر مناحيًا للقانون، وقال: «إن المنذخ في مسألة شخصية كهذه، أمر يدعو إلى الأسف، ويعتبر انتهاكًا للدستور والحقوق الأساسية على حرية المواطنين، وفيه إساءة إلى سمعة الدولة».

لقد وجد أبو «راشيل» أن في إمكانه إثارة قضية جديدة، ولفت الأنظار إليها، وليكن ذلك خلقًا لمادة جديدة، فتتفرّق مادة المذكّرات، ويرتبط فيها، ولم يمنع راشيل في تنفيذ هذا المخطط، لا عن اقتراح بوجهة نظر أبها، ولكنها لم تعد تطبق بعد من الخلافة، إنها تثير بثقة عارمة للقراء، ومن ثم كان احتجازها مرهقًا لأعصابها، باعتباره للضياف والحقوق في نفسها، إزاء هذه الضجة وجدت سلطات

الأمن، أنه لا يمكن من إطلاق حريته الفتاة، بشرطًا تقبل إلا الخليفة وجهدته، وتحاول الكف عن الإذابة بأي تصريحات للصحف أو لعامة الناس، وخاصة الفتيات الصغيرات السن.

لم يست «راشيل» ثيابها الضفيرة، وامتنعت عن استعمال مساحيق الوجه أو أدوية التجميل لأول مرة، وحينما ألغت عليها أنها قالت: «لا داعي لكل هذا، إنى أمقت الزييف، ولن أنقذ إلا ما يرضي الخليفة، إنى أشعر بسعادة كبيرة، حينما أقدم على فعل شيء أغرى به، أو أتخلى عن صنيع لا يروق له».

ضعفت أُمها وقالت: «إن ك تجديد دورك مثلما كانت تفعل أمه تماماً».

وسلت راشيل الشلال الأسود على وجهها، ثم هزولت خارجة، وعلى مربية من الباب الحقب بالأسله. «أين تذهبين؟» قالت وهي تواصل صيراها: «إليه».

- «إني أعرفك جيدًا يا راشيل».
- قالت في تح: «راشيل اليوم وغداً بإذن الله».

- «راشيل الأيام أم اليوم؟ أي تبينين وطنك بأخط الأثمان...»

رمتها بنظرة ساخرة قائلة: «لقد أمات بالرجل، وهذا حق، وكل دولة في العالم تحتضن إلى صدرها شتى المذاهب والأديان...»

 عمر يظهر في القدس

١٨٢

كتاب الخطر
قالت "راشيل": "لم ينج ممن الانحراف أحد... حياتنا المادية جعلت الجميع يعانون كل معنى روحي جميل... رجل الله لا يخف... لا يعرف دبلوماسية العصر الخردة... لا يحركه مطموع نليل... عالمنا كله يقيس تصرفاته بالمنفعة... بالمقاييس المنحتة، حتى الذين أحالوا إلى قضية دينيوية بحثاً، تتقاسف أهواءهم وعصباتهم وسلطاتهم الرخيصة.

عجب وجه "إيلي"، وقال ممسوبًا: "نتكلمان كفيلسوفة وأحيانًا كمبشرة... الكارثة أن أسرتك وبعض رجالنا ما زالوا يثقون فيك... وأنا... أنا المسكنين... أحاول دائمًا أن أدفع عنك... كلما ازدادت عني بُعدًا، ازدادت بك تمسكًا... أي شيطان تلعبس جسدي..."

طاقات رأسها وقالت في ارتبك: "إنني مخلصة للحقيقة وحدها... لماذا لا أتمضى معي في الطريق يا "إيلي" ساكون في غاية من السعادة... حينما أرى رجلًا مثلك يبرّق على تقواه العصر الحقيقة، ويخلج عن فكره وقلبته سلاسل القهر... ويتحرّر... وتبرجده له..."

رفع صوته في محاولة للتغلب على ضعفه وقال: "أنا لا أعرف غير عملي ومستقبلي ووطني..."

- "لقد صبحك في قلاليهم... ماذا إرادتك..."
- "أنا رجل واقعي..."

دق الأرض بقدمه وصاح: "أنت لا تعرفين شيئًا اسمه المبادئ"، فردت: "أنت عبد للأنانية والعقد..." صرخ مغطضاً: "بل أنت فتاة تستعبدها نозвاتها، أنا أعرفك، وقد استعصب عليك الرجل، وعندما تتألح مني ما تريدين سينتهي كل شيء... الحرامان يُجلّك الصبر، ويرسم لك قيمًا زائفة... وستعذر فلفسطعك العجراً إن عاجلاً أو آجلاً...

غمضت: "أنت تحلل الأمور بعقل حاقد مريض..." ثم شردت قائلة، وعينها نهر للسحاب البيضاء بنظارات حاملة: "لا أستطيع أن أحجب خياله عن ذنبي، كلمات الشجاعة تطن في رأسي صباح مساء... الوحيد في عالمنا الذي أفلت من إسارة الخوف والتفاق والعقد النفسية... لو صورته لي الكتب على هذه الصورة قبل أن أراه، ليهتز كتفي ساخرة وقعت هذه أسطورة لا وجود لها... لكني الآن أمسه عن كثب... وأسمع كلماته، وبحل لي دائمًا أن أقارن بينه وبين غيره من الناس... فيهملي الفرق الشاسع... ثم التفت إلى "إيلي"، وتوقفت عن السير، وقالت في جد:

- "لم لا تفكر في اتباعه؟"
- "مستحيل... أنا أكره به بكل ذرة في كياني..."

وضحك في توتراً واستطرد: "المسلمون أنفسهم يرفضونه... واليهود لن يتركوه... والمسيحيون منزجون لترامي شهرته وتأثيره..."
الفضيل ٢

عاد الدكتور وهيب من أجازته، وكان مرهقًا شاحبًا، كمريض في طور التمثا، وكان الشرود والقلق باريين عليه، وكان البعض أن مّجرررجاء، لعله السبب فيما يعانيه. وأخرون رجعوا أن هناك مساسة عائلية تعتصر قلبه، وخاصة بعد أن قضى أجازته في قريته المحلة. وكما سأله سائل، قال في اقتساب لا شيء! ورأت رجاء أن تجاهل فقاعة: آسفة. نحن قلقون من أجلك.

- لا مبرر للقلق.
- لم أقصد الإساءة إليه.
- أمر يا رجاء، هناك شيء أقوى من الحب.
- قالت في اضطراب: أنا لم أعدك بشيء. إن ما كان بيننا مجرد علاقة أخوية.

همس في أني: هناك بديهي للاستماع أن أتجاهلها. كانت هناك علاقة ما بيني وبينك. أي علاقة لا ينصح أن تلغي حرية أحد الطرفين.

قالت: يحزنني أن أنسحب في نكدر.
- المفروض أن نتقبل أمورًا كثيرة تؤلمنا. المقاومة فيها لا تجي.

- لنعد ما تظلمون الواقعية! تسمون الاستسلام لنزواتكم وأطماعكم واقعية، وتدوسون القيم الإنسانية وتلفسون خطاياكم، وتزعمون أنها واقعية. ثم التفتت إلى زائرة: دعني وشاني. لوح بسبابته مهدهب: إنني أندلك.
- أنا حرة...
- وسأسأحلك حشرة...
- ذاك عيش العجز والبلاهة...
- أنت تمزقين التقاليد العريفة...
- حياتي الجديدة لا تخضع إلا لكلمات الله...
- اذهب إلى الجمهور...
- آهي لعلمت ما أسعد به من نعيم روحي. آه...

استدار إيلي، ومضى سريعا الخطوة. ثائر الفكر، وانصبت آلات التصوير فجاً على راشيل، فأشاعت بعدها غاضبة مندهشة، وتممت: أتمت تسمون حياتي أيها الكذبة...

ثم أشارت إلى سيارة أجرة، وأسرعت إلى المستشفى العربي بالقدس...

 عمر يظهر في القدس
- «لكن الحراسة مشددة ..»
- «نحن أطباء يا دكتور عبد الوهاب ..»
- حز عبد الوهاب رأسه مواقفًا وقال: «من حسن الحظ أن بإلي» غير موجود .. إنه شرس عنيد.
- جهذ وهيب بعض الآلات الطبية، وصحب معه رجاء، واستاذان من الضباط المسول، وأخبره بأن فحصًا هامًا سيجري للمريض، وأنه يريد غرفة المريض خالية من الأشخاص ..
- كان قلب وهيب يدق في عطف، لقد تعجب هو نفسه بهذا الأمر الغريب، الخليفة مجرد إنسان بلا سلطة، يحاصره الجحود، والعداء من كل جانب، وترصدته الأجهزة الرهيبة الماكورة ..
- وتكاد تعتصره .. لم هذا الاضطراب يا وهيب .. ورجه واقفة إلى جواره، وتمت وهيب في خجل غير مألوف: "أيها الخليفة .. قرأت عنك كل شيء .."

قال الخليفة بتوقيع وبساطة: "لكني لست كل شيء .." نظر إليه وهيب في دهشة، يلتها من كلمة جامعة شاملة.
- "كيف؟ .." قالت المرأة الرئيسية تُستّقى من المصدر .. هناك الفيض .. والذي العيم .. "
- "وأما هو المصدر يا أمير المؤمنين؟ .."

- «كلماتك تشيد بالأحزان ..»
- «لأن حبك كان شيئًا رئيسيًا في حياتي ..»
- لم تستطع أن تجيب، أما هو فقد هز رأسه قائلًا: "أنت صاحبة مبادأ .. ولهذا أعتذر بك .. عندما تكون السيادة للمبادئ .. فإن كل أحزاننا وماسي شعوبنا ستذوب .. ويولد عالم جديد .. المبادئ عندى تقدمية ورجعية .. وجهة نظر .. كنت أحتقر مبادئ الآخرين .. هذا خطأ جسيم ..»
- أخذت تستمع إليه في اهتمام .. ثم سمعته يقول: "إن زواج
فتاة مثل من رجل مثلي يثير قلقًا عدة .. لا أقول أنه مخالف للشرع الذي تؤمنين به فحسب .. بل يخلق جيلاً متمزقًا غريبًا ..
قد يناسب البعض لزواج كهذا .. ويتلذذون بما يصاحبهم من صوبان .. وطرائف .. المسلم يتزوج كتابية .. المسلمة لا يتزوجها مرهكي .. لا بيد له .."
- قالت رجاء في اضطراب: "لا داعي لمثل هذا الكلام .."
- "أنا أكره النفاق .. لقد دارت أشياء كهذه في رأسك منذ قدم عمر .."
- واستاذ وهيب، وقصد عنبر المرضى، وجلب بينهم
منتحًا حالاتهم .. مقرزًا ما يحتاجون من علاج ورعاية .. ثم
بحث عن عبد الوهاب وطلب منه أن يذهب له أمر مقاولة الخليفة ..
قال عبد الوهاب: "لا مجال للسخرية مرة أخرى .."
- "لم يخطر بيالي شيء كهذا .."
إنكم لم تخلقوا عبثًا.. لن تتركوا سدى.. اليقين طريق السعادة..

"الله ...

لكني عاجز عن اكتشاف الارتمي..."

"في أشتثه يا ولي ترى الكون.. لم يصنع الكون نفسه... إنه إبداع الخالق.. وفي المخلوق ترى عظمة الخالق.. القصيدة الرائعة تنبى عن شاعر عظيم.. ولم الثريرة.. أقصد كلمات الله... سوف تأخذ بيدك إلى المصدر...

وسمت وهيب برحة.. بينما وقفت رجاء تشهد ما يجري في تمام يوظفها.. وعاد وهيب يقول: "لم أكن أرى في الحياة سوى عذاب المساقين والعيشاء.. فقلت من أجل هؤلاء يجب أن ترك الجهود.. وإسعاد البشر غاية...".

تتم الخليفة: "غايته؟ لام.. بل وسيلة إلى الخير والعدل...

الغاية هو لله.. عمك عظيم لكن شاهب اضطراب خفيف..."

"أسمع ذلك لأول مرة...

"أؤمن به؟"

قال وهيب دون ترد: "أجل..."

"إذن فقد عمر قلبي بالفرح.. ووضع قدمك على أول الطريق... الآن أوان السفر.. فلتمض في حتى النهاية... وبالخلاص ستري معالم الطريق واضحة.. تظلها المعرفة.. ستجد علاج المساقين والعيشاء.. وأدب الحكم والحاكيمين.. والعلاقات الكثيرة التي تحكم الكون والحياة...

عمر يظهر في القدس

۱۹۱

كتاب الخير

۱۹۰
«داميد» شاب في الثانية والعشرين من عمره، تلقى أصول السياسة في أحضان حزب من الأحزاب الإسرائيلية المعروفة، والتي لها سبعة مقاعد في الكنيست. وهو يحفظ الكثير من صفحات التوراة، ولا يكتفي بدولة إسرائيل الكبرى التي تمت من النيل إلى الفرات، وتذهب جنوبًا حتى تشمل أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية. لا ظلماء أكبر من ذلك بكثير، إن عقيدته هي أن تكون السيطرة الصهيونية على العالم كلها، لقد قرأ بروتوكولات حكماء صهويون، وتأثر بالكثير منها، بعض أصدقائه يتفهمونه بالمغالاة، والإغراء في الأحلام لكنه يسخر من ضعف عزيزتهم، وقصور آمالهم، ويعود لهم أن صهيوون بسيطرتها على الاقتصاد في كثير من دول العالم. تجعل لوكالاتها نفوذًا كبيرًا على الحكومات، وتوجيه سياساتها، ويرد أيضًا أن تتفاقم لدي الصهيونية والفكر الصهيوني في أجهزة الإعلام الكبرى.

في شتى البلاد، بشكل تحديات كبيرة للأعداء، ويتحكم في التأثير على الرأي العام تجاهًا خطيًا، وموقفهم المتزامن حيال الانتخابات الأمريكية، واشتراع عدد من علماءهم في الأبحاث النووية وأبحاث الفضاء، يجعل من «البيت الأبيض» الأمريكي لعبة في أيديهم، ويزعم «داميد» أنه ليس بين صهيون وتحقيق

وهمس: «نحن معًا إلى الله»

- «هذا أسعد يوم في حياتي...»

لم يكن التحول الذي اجتاح وهيب تتحول مفاجئًا، فقد جاء نتيجة معاناة مجهدة، وتفكير طويل. وبعد أن خاض التجارب العديدة، وماساة الأيام الحزينة تثقل قلبه وفكره، وتورثه الأرق والقلق العنيف.

واستمر وهيب وهو يحفظ دموعه مرة ثانية: «هذا أسعد يوم في حياتي...»

- إن فكرة الرجل لا يرفضه أي عقل سليم.

- ولا تنفر منه أن يطرق سليمة...»

عمر يظهر في القدس

193

196

كتاب الخلف...
حتى أنحيها في حب هذا الرجل الغامض.. لقد انحازت إلى جانبه تمامًا...

علق دافيد في ضيق: «حكومتنا تصرف بغياب جبال هذه القضية.. يجب أن يقوموا بهذا الرجل الأجزوية»، قبل أن يشتد تهافت المجانين من الناس عليه. قلقلفوا به إلى الجحيم. أو يلصقوه بتهامة الانتماء لمنظمة «فتح»، ثم يعدمونه رميًا بالرصاص في ميدان عام، حتى يكون عبرة لغيره...

قال إيلي هامشًا في سعادة: «هذا ما سوف يفعلونه.. لكنهم يريدون امتصاصه أولاً.. ما زالوا يعتقدون بأن وراءه مؤامرة خبيثة»...

قال دافيد متأثرًا: «هل قرأت تصريحاته الصحفية الأخيرة؟ لقد أثارت بلبلة كبيرًا.. حتى المسيحيون واليهود أدرت كلماته رؤوسهم.. إن كلمات الرجل وتأثيره البالغ على عقول العامة.. بل والخاصة.. من أخطر المؤامرات.. ماذا يتطلعون؟»

وقضى دافيد أياماً مليئة بالضيق والشق والضغط، أسرته تسهيد في تلق توتره وغضبته، إدارته الجوانب والنفسية التي يعمل بها ضجت أروقتها بمناقشة جهادية، وثورة العارمة وأن الحزب والخليفة ودار العبادة ضجت هي الأخرى بتظليقاته الصادقة.. كثير من أصدقائه بدأوا يميلون لرأي تعصبًا.

وكان دافيد يعتقد أن «راشيل» تلعب دورًا هاماً لحساب المخابرات العامة الصهيونية، لكن خبر هؤلاء الفتيات أثار الشكوك في نفسه تجاهها، وأدرك إيلي ما يمثل في نفس دافيد، فقال: «أنت تابي أن تصدقني يا دافيد.. راشيل غارقة

حلمها الكبير في سيادة العالم إلا خطوات قليلة.

كان دافيد يقرب الأحداث الجارية باهتمام بالغ، اشتعل في قلبه غيظ ذائف، وهو يقرأ تطورات قصة الخليفة المزعوم، الذي أقام المدينة وأطعاها، وشغل الصحف ووكالات الأنباء، ونظرًا لأن دافيد على صلة وطنية براشيل، فقد علم منه الكثير وخاصة قصة راشيل مع الخليفة، وكان يتحرك حفيًّا.. ويتمنى لو أمسك بمسدس وأفرغ رساصاته في صدره.. إنه يكره الرجل، ويكره مبادئه.

وقال دافيد إيلي ذات مساء: «لو صبح أن هذا الرجل هو عمر بن الخطاب فعلاً، لـène فرصة ذهبية، لـène لأحرزنا في خير»، وليبي قريحة، ووني النضير ووني القينقاع هؤلاء الذين أن لهم المسلمون في قدم الزمان...

وعندما انتشرت أخبار طالبات المدرسة اللاتي ذهبن للاعتناق مبادئ الخليفة كاد دافيد بجن، وعلق قائلًا: «هؤلاء الفاسدات المخدرات يلوثن مجتمعهم ويستغلن بكرامتهن في الحضيض، لابد أن نصححهم سحقاً»...

وكان دافيد يعتقد أن «راشيل» تلعب دورًا هاماً لحساب المخابرات العامة الصهيونية، لكن خبر هؤلاء الفتيات أثار الشكوك في نفسه تجاهها، وأدرك إيلي ما يمثل في نفس دافيد، فقال: «أنت تابي أن تصدقني يا دافيد.. راشيل غارقة

عمر يظهر في القدس

196

194

تاریخ المحرر
شيء. لم أستسلم للهواجس، وإنما لبيت نداء عقلي وقلبي. لماذا يخدع الإنسان نفسه، ويغلب روحي وفكره بسلسلة الجمود؟

حرف رأسه في عصبية، وأخذ يفرق أصابعه متزورًا، وقال: "إن كنت صادقة فيما تقولين، فانت سرطان يجب استئصاله...

ابتسمت في هدوء لم يكن يتوافق، وهمست في ثغرة: "لا تأخذ الروح إلا خالقها. الموت لا يخلق نور الحقيقة. مصباحها القدسي يضيء... وضيء... لأنه خالد لا يموت..." بما في اسمئاز: "أنت بعد الموت جيفة قذرة، عن أية حقيقة تتكلمين...

قالت وقد شعرت بندعر ثورة في داخلها: "الحوار الأصيل ليس سببًا. لن تتنصر بمشتاك. أخذ العلم يقتار على جبينه الأشقر. وبدت نظراته قلقة حائرة، وظل فترة من الزمن صامتًا. كان يتحرق بالانفعالات الهادرة، والعجز القاتل، لم يكن موقفًا في حديثه، ولم يتخد طريق اللفت والمدامة، ما هذا جاء...

- "آسف يا راشيل. إن شديدة الإيمان بما تقولين، وأنا أعذرك. كنت وقفاً عديماً اللياقة. لكنني سعيد... إن عني فأظهر أشياء ذات قيمة...

وهمست "راشيل" وقد زايلها حضبي المكتب.

الوقت غير مناسب، كانت راشيل تعرفه، وتعرف صدايقته "إليها". وفقرت: "لم لا تقابل؟ إنه ليس صحفيًا قد يكون فتى طليما ينجب نحو النور برغم ما تعرضه عن من تطرف سياسي، وتعصب ديني. وقد يغير الله العواطف والأفكار في لحظة من لحظات التنموية الباهمة...

واضحت من الداخل: "دعوه يدخل... تفضل... مرحبا بكم..."

و عندما استقر بها المقام في غرفة الاستقبال المتواضعة، قال دافيد شاحبًا متزورًا:

"أسيف للإزعاج... لكن... هل صحيح ما نقرأه في الصحف، ونسمعه في الشارع؟
- "وماذا سمعت؟
- "خدعت كلماته...

قالت شاردة: "للحقيقة قوة جذب خارقة، لا يستطيع المعادن التقية أن تقلل منها... غمف في رعب: "تدتين الحكمة؟
- "أصور ما حدث دون تنميق...
- "وهرى: "يا عار الجيل...

تطلعت إليه، كان متوجه يدعو إلى الرثاء، فقالت في صبر: "أعرف أنه كانت في أطماع "صيدانية" في البداية. لكن عندما عاشرت الرجل، وسمعت كلماته، واستوعبتها، تغير كل
قليلة المعلومات كمبتهدئة. ومع ذلك فاننا على استعداد لمواصلة الحوار. ويمكن أن ترجع لحديث الخليفة المنشور أخيرًا في إحدى الصحف. لقد تطرق إلى الدين، والسياسة، والفن، والفكر، والعلم. إنه موجز، لكنه في الحقيقة يا دافيد معجز.

ويمكنني أيضًا أن أرتب لك مقابلة مع الخليفة نفسه. إنه إنسان طيب بسيط.

انتصبت أنتبه المحتفلين، وقال في اهتمام:

- فكرة رائعة. لكن يجب أن يسبقها لقاء خاص بيني وبيتك حتى يكون لدى حصيلة كافية عن الموضوع.

ثم استطعر وهو يهم بالوقوف:

- أنت وقفيين على أن تلتقي هناك في أطراف المدينة.

الغرب. هناك شجرة عتيقة. على مقربة منها، كازينو صغير.

فكرت برهة ثم قالت:

- ولم لا يأتي إيلي معك؟

بنت، ثم قال في ضيق:

- لا أظننه يأتي. أنت تعرفين ثورته وعناده. ثم إنني لا أريده.

قالت: وهو كذلك...

- لقد خلقنا الله أحرارًا، وأنعم علينا بنعمته العقل، وأمكنا بفطرة سليمة. ولكننا نختار أيضًا أن نختار إنسان حر الطريق الذي يريد.

نظر إلى وجهها الفنان، وعينيها اللتين تشعان صدقًا وإصرارًا، والوقار الغريب الذي يواكب حركاتها وسكناتها، وقال متراجعا:

- حدثك مثير، وجدني بالاستماع. ماذا جرى لي؟ يالي من أحمق، لقد كنت مخطئًا في ثورتي. الحق أقول. لكنني أعتقد أن الموضوع يحتاج إلى مزيد من التوضيح. إنها ليست قضية سهيلة يا راشيل.

هزم رأسها مرفقة:

- أجل، اتخاذ موقف عمل كبير. الموقف هو الإنسان.

觉醒نا يا دافيد؟

ابتسمر، وقال في تأكيد:

- أجل... موقف حاسم. لا بد...

ثم عاد يقول وقد تأمست إطعامه:

- وأظن أنك لن تمانعي في مقابلتي مرة ثانية. فقد. من يدري؟ فقد أقنعت وأمضى معك في نفس الطريق. لكن تذكرني أنني صعب المسار، صلب عيني...

توجهت ملامحه بالسعادة، وصفت وجهها حمرة سحرية، وبدأ الخجل في حركاتها ونظراتها، ثم قالت: ربما أكون

써ب الأشياء.
كان يمشي في الشوارع مسرعًا دون هدف، لكنما يجري ورائي وحش مفتروس، وكلماتها تتلاع في رأسه المتلتهب. هل هي يهودية بنت يهودي؟ مستحيل، لابد أن فيها عرقًا غريبًا أفسد طبيعتها، ولو فكرها، وخلال روحها بأنفس المسلمين... هي دسية... لا شك... أو مجنونة... يا لتلف الذي أصاب كل شيء فيها... لكنها جميلة... أشعر أنها عرضة لقطاع طريق يريد أن يسبيبها منا... وظل دافيد يفكر... وفكر...

وبعد يومين من هذا اللقاء اهتزة أرجاء القدس لحادث وقع، حادث مثير مهول، وحملت الصحافة على صدر صفحاتها عناوين ضخمة.. لقد وجدت راشيل في مكان ناء بأطراف المدينة، ملقاة تحت شجرة عتيقة، والدماء تنزف منها، وقد تعرضت لطعنات في بطنها، وصرحتها ووجها.. لكنها لم تمت.. كانت في غيبوبة طامة.. واضطرت الناس حيال الحادث الغريب.. قال قال: تلك بداية لسياج علينا الرجل الغريب من كوارث، وقال ثان: لقد أرتكب الجريمة بيد عربية مسلمة، لأنهم يظنون أن راشيل اليهودية جاسوسة تخدع الخليفة المزعوم، وتحصني عليه كلماته وحركاته وسكتاته...

وقال ثالث:

- "إني إيلي - خطيبها المهزوم - قد أخذ بثأره. وانتقم لكرامته وكبريائته الجريمة".

 عمر يظهر في القدس

2001

201
كان الحقد يأكل قلبه، ويهدر كبركان هائج، ويوشك أن يجنب راشيل على قيد الحياة. أية نكسة أصابت آماله، وهدمت مخططاته؟ وفكر في أن ينزل إلى داخل المستشفى كي يجهز عليها قبل أن تفقه من غيوبتها، وأخذ يجوم منزلاً حول المبنى، لكن الحراس أبعدوه مرارًا، وهددوه بالقبض عليه إن لم ينصر. إن أهل "راشيل" أنفسهم لا يستطيعون زيارتها، فكيف بالغرباء عنها؟ وعاد "دافيد" إلى بيته مضطربًا شاحبًا، وبرقت في ذهنه فكرة شريرة، وأخذ يجول بنظراته القلقة داخل الحجرة الضيقة، وتمت: "إنه المسؤول الأول عن كل ما جرى"، هكذا قالت بعض الصحف، وهو قول يتفق وجهة نظري، لو قضيت عليه لوضعت بذلك نهاية تلك المأساة المضحكة. عمر...

لم تخفض الضجوة التي أثارها الحادث، وصرب عالم الدين الرسمي بالقدس: "إنه هذه الفتنة العشواء، والدماء التي تهدد ظلماً، إنما هي من باب الفتنة التي لا يرضاه الله، ولا تقرها تعاليم رسوله صلى الله عليه وسلم، وإن وجود تلك الشخصية الغامضة "عمر" سوف يجر إلى بلاء مستمر، وإلى خلافات دينية، وتعصبات حميقاء، لا يعلم إلا الله مداها" وألمح إلى

عمر يظهر في القدس
وقال محمود في تردد: «بعض الأصعاب المشبوهة تشير إليك في اتهام»

هتف الخليفة: «أنا!»

- «هم يا أمير المؤمنين يبحثون عن كبش فداء لإسكات الجماهير المحتجة الثائرة»

قال الخليفة في اطمئنان: «لن يسهل خداع الناس بعد ما جرى من أحداث»

- «هم يغلقون دعاواؤهم الباطلة في ثوب الحق»

وعاد الخليفة إلى صمته، ثم أخذ يرد كلمات من القرآن:

وإذ يمكر بك الذين كفروا لثبتوك أو يقتلكوا أو يخرجوك، ويمركرون يمكر الله، والله خير الماكرين» صدق الله العظيم

لشما تألل الخليفة لما أصاب «راشيل»، وأخذ يفكر فيمن يكون وراء تلك الحادث، إن الشبهات التي كانت قائمة حول راشيل، لم ت تعد مرحلة الشك، ولا تكفي لأن تدف على أحد من أتباعه لاغتيالها، ورجاء لا يدفروا على غير نصيبته، وقد أعلن الخليفة قبل ذلك موقفه بصراحة منها، والتزم بالمبلغ فيها، والأطمئنان إليها، وفتح قلبه لإيمانها، مؤمنًا أنها تسير من حسن إلى أحسن، وفي نبراتها الصدق والإخلاص، اندمجها في حياتها الجديدة، وقيامها بالدعوة علانية دون خوف، تثبت إخلاصها، كل ما تفعله راشيل ليس يصعب فهمه بالنسبة لأي مراقب للأحداث، وتمت الخليفة: «لا أريد أن أجزم دون بينة»

مواده التالية، وعدم انسياقه وراء عواطف الجماهير البريئة، ووقع على البيان باسمه...

ودخل الدكتور محمود العنانى على الخليفة حزينًا مقطوع الجبين، ثم فحصه في ارتباك ظاهر، وتمت بصوت خفيض:

- «يا أمير المؤمنين، الأمور تسوء، اعتقلوا وهيب وزوجه وهم راجاء، وعدًا آخر كبيرًا من الناس بعد حادث «راشيل».

قال الخليفة في دهشة: «أي حادث؟»

- «محاولة اغتيال راشيل.. لقد مزق جسدها خنجر»

جمنون...

بدا الأسف ممزوجًا بالغضب على وجهه الكريم وقال:

- لا حول ولا قوة إلا بالله...

- الأفق يندبر بالمخاطر...

- يا لها من مسكونة.. أنا أعرف طعنات الخنجر.. فعلها أبو لؤلؤة المجوسى بتحريض من اليهود والحادقين.. كنت أعني آلامًا شديدة.. ترى ما حالها الآن؟

- لم تجت مرحلة الخطر بعد...

وهتف الخليفة.

- من فعلها يا محمود؟

- مجهول...

- إن ماتت فهي شهيدة»
كلما حديثي أن هذا الفعل الشائع من صنع صهيوني حاقد
لا أعرف من، لكن الدليل كلها تشير إلى أنه ليس من رجالنا من
يجوز على ارتكاب تلك الحماقة. وما قمنا لانتقلت الناس، ولكن
لانتشار الخضيلة، وزرع الحب، ونيل كلمتنا. نحن لا نتعجل
الأمر. فنعدنا يحدث التغيير في عقول الناس وعواطفهم، هم
بأنفسهم سيتزرون في رفع أسس البنية العظمى الظاهرة.
وقال محمود: "العدو فاجر خبيث يا أمير المؤمنين...
- "أنا أعرفهم، لكن الأمر خرج عن نطاق خبثهم وسوف}
تسوقهم الأحداث سوقاً. سيظهر القاتل إن عاجلاً أو آجلاً.
الشباب هنا مصابون بمرض الشهرة وحب الظهور. القاتل
نفسه لا يدوم أن يبقى مجهول. يريد أن يصبح بطلاً. تحدث عنه
الصحف، ويردد اسمه في الأندية والحانات. العالم مغرم
بالفضائح، والشعارات، وهكذا الأستار...

وجدد أحد المحتملين لأخذ أقوال الخليفة: "اسمه بالكامل...
بلدك، عملك... "أنت تعرف...
- "أنت تعرف...
- "لا أشياء مسبقة. إنني أبداً وكانى لا أعرف شيئًا...
قال الخليفة: "حسنًا. عمر بن الخطاب، بلدي القدس.
عمري لا أعرف، وعملي ما أقول؟ جمعت الأخطاب، ورعيت
الابن والأغناه، وقمت بالسفارة بين مكة والعالم البعيد...
وخدمت في حكم الأمة عشر سنوات.

القاضي
(217)
مكشوفاً عن أنيابه المتسخة من كثرة التدخين: «لقد انتهى عصرك أيها الخليفة... لن يعود التاريخ إلى الوراء... هذا عصرنا... نحن نمتلكه... وسنستحق أي متسلق إلى وجودنا...».
قال الخليفة دون أن تزايده شجاعة وهدوءه: «هناك أشياء لكل العصور...»
فلتحول الرمال إلى صورخ...
- ولتنقلل الجيد إلى دبابات ومصفحات وطائرات...
- لكن قلب الإنسان سيظل يعمر بالحب والحرية والإخاء والقيم الطاهرة... وسيظل التوحيد وسورة الكرامة والتحرر من كل الأصنام والطوائف...
- تلك أريج العصور... كل العصور...
- الخناجر لا تقتل روح الحق في هذا الدنيا الكبيرة...»
انقض دافيد كنمر شرس، ورفع يده بالخنجر ليهوي به وينقب في قلب الخليفة... فانتفع الدكتور محمود... لكان الخليفة كان أشبع منه... وثوب من سريته في خفة معجزة، وأمسك بمعصم دافيد بيد حديثة... ألعجزته عن الحركة... وهتف محمود: «اتركه لي يا أمير المؤمنين... أنا كفيل بتاجيه...»
وجذبه محمود إلى الخنجر بعد أن أسقط الخليفة الخنجر منه، ثم سد إلى فكه الأسفل للكمة قوية، ثم ركله بركته اليمنى ركبة قوية في بطنه، فترنح دافيد شاهباً مرتاباً وسقط كالنفيس.

- «لكي تفلتوا منها، وتلقوا المسؤولية على أكتاف ضحية بريء...»
- «أنت تعرض بسندة القانون...»
- «وأنا لا أؤمن بقانونكم...»
- «تلك جريمة تتعاقب عليها القانون...»
تمدد الخليفة فوق سريره، ووضع راحته تحت رأسه وقال: «انتهى كلامي... فلبحث لك عن تسليمة أخرى...»
- «بل ستت kø...»
- «لن يرمينك أحد... هذا حقي...»
- «لسوف نعود إليك ثانية...»
- «الله أعظم...»

خرج المحقق وعاد الدكتور محمود ليسأل الخليفة عما جرى، ولا يدريان كيف افتتح الباب فجأة، ووُثب إلى الداخل رجل أشرق الشعر أزرق العينين... إنه دافيد... الجنون في عينيه، ووجهه محتقن يكاد يتفجر منه الدم، وخنجر لامع في يده... وقف الدكتور محمود مأخوذًا متشلول الفكر والحركة... ونظر الخليفة بعينين صامدين لا تفترضان، وقال بصوت ممتلئ وقوير وواقع: "نفس الخناجر! هي... لن تفعلها أيها النجس..." كان دافيد قد أغلق الباب وراءه، وأحكم مزلاجه، والحراض يعدونه بعنف من الخارج، وتقدم "دافيد" نحو سرير الخليفة...
الإسرائيليون.. استحقوا هذا الخطر قبل أن تتحول كلمات الخليفة المزعوم إلى حشود.. وراءيات.. ونيران تحترقكم.. أمنكم ووجودكم.. وتبديد كفاح الأجيال الطويل.. وافعلوا بي الآن ما شئت.. »

وجدت الصحافة مادة جديدة للحديث، ولم يكن هناك مفر من توجيه تهمة «الشروخ في القتل» إلى دافيد، لكن نغمة واضحة جديدة، بدأت تظهر في الأيام التالية، تحمل عواطف الشفقة والرآفة بالنسبة لدافيد. وقال أحد المعلقين الصهيونيين: "إن مساحة دافيد تحمل معنى خطيراً، تحمل معنى الرفض لدى أجيالنا الفقيرة لكل أنواع الخلافات والغيبيات التي انتهت عصرها منذ زمن بعيد للهم إلا في بعض الدول المتاخرة كالبلاد الإسلامية والفرنسي.. وإن المتهم يجب أن ينظر إلى نظره عاقبة، تنفّذ طبيعة المشكلة، وتنظر بعطف إلى تمدّد ذلك الجيل وعنفه، ضد الجيل والسياقات الدينية التي تهدد أمنا ومستقبلنا، بعد أن ضحيتنا بالكثير من المال والدماء والجهود المادية والمعنوية، لبُلوغ قمة النصر الخالد في جزيرة عام 1967.. دافيد بريء.. دافيد مخلص لعصره وشعبه.. دافيد رمز التفوق والتمدد.. وإن جانب التوفيق في التعبير عن ثورة هذا الجيل وتطوراته.. »

عليه، وكان ثنان أيضًا ضعيفًا، ويستغيث.. ومصمم محمود إلى الباب، فتحه وتمطر الغزير يقتصر على وجهه، وقال محمود وهو يلهث، في نبرات راجعة: "ذكري هذا الكلب إلى الشرطة.. لقد حاول قتل أمير المؤمنين..»

نفخ الحراس في صفاراتهم، وبدأت الأجراس في الحجرات وفي أجهزة التلفزيون، واستدعيت قوات إضافية، وهرول موظفو المستشفى إلى مكان الحادث، بينما اكتسح الدكتور محمود على المجرم الممّر عليه، وأخذ يفحصه ويتساءل بقات قلبه، ثم حققه بعفار الكور أمين كي يفهم.. وتم تم الخليفة بكلمات من كتاب الله: "ورد الله الذين كفروا بفيظتهم لينالوا خيراً.. وكفى الله المؤمنين القتال..»

فتح "دافيد" عينيه، ونظر فإذا بالحراس يبحتون به من كل جانب، وضابط صهيوني كبير يمسك بهدو، ويطلب منه أن يرافقته إلى مقر "إدارة الأمن"، وترفّته دافيد حوالياً. أضواء تغشى العيون تنفتّذها آلات التصوير.. الخليفة جاس على سريره يرقب المشهد صامتًا.. ومحمود بمعطاه الأبيض يبدأ لدافيد من الخلف.. وأخذ دافيد يدق رأسه، ويشد شعره في هستيرية ويشق ويقول: "تعاملوني كمجرم.. إنني أود وأجبًا مقدمًا.. لماذا تنتظرني.. الجريمة هنا.. (مشيرًا إلى سير الخلافة).. لن تفهموني إلا بعد فوات الأوان.. مستجد أن أفشل مرتين.. العباقرة هكذا دائماً.. إنني أقولها بملء فمي أيها

 عمر يظهّر في القدس (211)

كتاب الأشياء (210)
لكن صحيفة أخرى تصدر في "طل أبيب"، أفردت مقالة في صدر صفحتها الأولى وقالت دون توقيع: "دافيد مصاب بمرض عقلي، ملف الشخص في الحزب وفي المدرسة وفي إدارة الجوانب، بموافق وأحداث تشيّد بأعراض هذا المرض. إن هناك دوافع إنسانية وطبية تحتم على سلطات الأمن أن تطلق سراحه، على الفور، أو تحيله إلى مصحة للأمراض النفسية.

وقامت نفس الصحيفة بعمل تحقيق صحفي شامل "ريبورتاج" عن ماض دافيد، استضافته فيه أباه وأمته وإخوته وأخواته، و(Character) قدمها، واستضافت أيضًا بعض الفتيات اللاتي لم يطلقن أن يصدرن بأن لهن علاقات عاطفية متنوعة مع دافيد. وكل الأحداث، والتقصيات كانت متصلة على "المرض النفسي" الذي أصيب به ونانه من دافيد منذ الصغر، بسبب الحروب والويلات التي تعرضت لها الحركة الصهيونية، والمخاطر التي زحفت في رحلاتها. والغريب أن جريدة الحزب الذي ينتمي إليه "دافيد" قد انتهت موقفًا آخر، لقد أخذت تسرد وقصص اليهود في الجزيرة العربية أيام الرسول والخلفاء، وصورت موقف الفتاة والخيانة ونقص الععود والنزاع، وقصصها على أنها بطولات وتضحيات باهرة، تعتبر صفحة مشتركة في تاريخ المقاومة اليهودية، وأخذت تهجم موقع عمر التاريخي، وسياسة المسلمين الأوائل، وتتنوع الشعب بسوء

عمر يظهر في القدس

٢١٢

٢١٢
وقال صحفي ماكر: «يا لها من فكرة رائعة، أن يأتي موكب الخليفة الكبير، تحت أضواء الكاميرات، حوله سياج من الشرطة، ويدلب على المستشفى الإسرائيلي، ويلتقي بالفتاة التي آمنت به، وأحبته، يقاله من لقاء!! إنه مجال خصب للصحافة والشعراء والروائيين والثرف والمتمتعة.»

لم تمنع السلطات في تنفيذ رغبة «راشيل»، لكن الخليفة ابتسام في رقة ورده، وقال: «شفها الله، هي شريفة القصد... لكن الخبائث يريدون أن يستغلوا الموقف، ويتسلون ويعبثون... وتقدم للناس موائد من السحريات... الأرواح أها الرجال جنود مجندة، كما يقول الرسول،... وما تعرف منها، وما تناكر منها اختلاف... ولن تحول القيود والسعود والحراب دون لقاء الأرواح... وراشيل لديها من الزاد ما يكفيها لخوض بحار الألم والوحدة والعناء... ولديها من النيل الطويل ما يروي ظواها في السفر الطويل، انفضّوا، وسيرا إلى مقاصدكم...»

ورددت أنا على الفور: «هذا هو الرأي ولا رأي غيره...»

أما الإسرائيليون فكانوا يقولون: «إن حماية الخليفة أمانة في أعيننا، وإن تيار العداء العنيف ضده - سواء من المسلمين أو المسيحيين أو اليهود - يلزمنا بالحفاظ على حياة الرجل، وليس هناك أمن ولا أنظم من مستشفى القدس.»

وفي سيرتها المحاصر قالت راشيل بصوت واهن باك: أريد أن أرى الخليفة.. أخاف أن أموت دون أن أراه...»

إفراج عن جميع المتهمين، على أمل أن يعدل «راشيل» من موقفها وتعترف بما يحدث...
القصرين

اندمجت الحكمة «رقاء» في المعاني الكبرى التي أفادها عليهم أمير المؤمنين، خلت خلقًا آخر، كانت تتلكم ببحساب، وتتحرر عن وعي، وأهم شيء أنها كانت تفكر.. أدرك أن الفكر روح الحياة، وما أكثر القضايا التي طرحها كلمات أمير المؤمنين: الله.. الإنسان.. الإسلام.. العلاقات بين الإنسان والإنسان، وبين خالق الكون وإنسان الكون، الدين والعلم، وذلك العصر وما يتصرف فيه من قيم وأفكار وعوامل.. لم يكن الأمر سهلًا، لأنه ليس انفعلاً عاطفيًا غامضًا، بل اتخاذ موقف.. موقف أساسي يرتبط عليه.. ومسؤليات.. ووجدة «رقاء» نفسها تخوض تغييرًا كبيرًا في نظرتها للأشياء.. وفي ملبسها.. وماكلها.. ونومها وقائهاها.. وعلاقاتها بزميلاتها وزملياتها.. وأحوالها الأسرية.. ثم الشيء الهام: وهو واجبها في نشر ما تؤمن به من أفكار ومبادئ.. وخاصة بين بنات جنسها.. كان لها نشاط مستمر، ودور كبير، إن الصحافة لم تتخذ منها مادة للإثارة، لكنها بغض الهاوية كان دورها أهم وأكبر من الدور الذي لعبته «راشيل» تلك التي أصبح اسمها على كل لسان.. وتغيرت علاقتها بالدكتور «وهيبي»، كانت تلك العلاقة في الماضية، همسات حلوة، ونظرات رقيقة، وأحاديث طويلة في
جمالاً رائعاً، ومتمت رجاء: «كلما تذكرت الماضي انتابني خجل شديد»

واعبتم وهيب قالا: «أنا على النقيض من ذلك تمامًا، كان الماضي تجربة شائكة برعما ما يحمل به من انحرافات وتخبطات»

- «وكي؟»
- «لولا التجربة، وما أثارته في فكري من صراع حاد، ومقارنات لما استطعت أن أتخذ الموقف الجديد»

قالت رجاء: «ولم لم أكن أيامًا منذ البداية مثل الآن...»

شري وهم قالا: «كان عمر بن الخطاب في الجاهلية عنفًا عنفًا، وقيل أنه كان من أشد أعداء الرسول - ـ قبل أن يسلم، بل إنه تصدى لبعض المسلمين الأوائل وأذاقهم العذاب والسخرية المرة، وخرج من هذه التجربة المثيرة مدمعًا بالخريرة والخصائص والمعرفة... أصبح مثلًا يحتذى في الإيمان والإخلاص والتثنى...» أه.. لقد ضرب أخته حتى أسال دمها عندما وجدها تنغر سرًا أهونًا من كتاب الله، ثم تناول الصحيفة فعضًا وأخذ يقرأ الآيات لبري ما فيها... كانت الكلمات تبعث الدهمشة في فكره وتبث الأمان في قلبه. وتبث القشعريرة في جسده... نزته من الأمام.. استرخت عضلاته.. فانصرفت أسارير وجهه... ما هذا بقول بشر.. أمتلأت عيناه بالدموع.. ما هذا بقول بشر.. وطاطا رأسه آسفًا.. وأسرع إلى الرسول.

عمر يظهر في القدس 218

كتاب الخطر
أبعدها .. لم أتعلم في المدرسة عن ذلك شيءًا ذا قيمة .. ولم
يتيسر لي كتاب أفهمه فهما جيدا .. لكن كلمات الخليفة جاءت
بسيطة مذهلة، تفيض بالروعة والتاثير .. وضعت يدي على
مواطن الحق والخير ومنبع الجمال الخالد .. لم أستطع أيدي
قبل أن أنهم الإسلام على أيدي المحترفين .. أوليكي في أغلب
الأحيان لم أكن لأحاول ذلك ..

وأخذ وهيب يفكر بصور مسموع: «كثرة المعلومات
أو قلتها ليست العامل الحاسم، كان أيب سفيان في جاهليته لمثا
بكثر من الحكمة والعلم في عصره، وكان بلال بسيطًا .. عبدا
مسكينًا يعمل ببيده، لا يكاد يجد وقتًا للراحة .. وآمن بلال,
وكفر أيب سفيان .. آه .. عندما آمنت «بدككاتورية» الطبقة
ونحوه الطبقة العاملة في العالم، كنت أقول مع الفاطميين: «نحن
لانعداء الطبقة العاملة في الدولة الصهيونية .. فهم ضحايا
مظلومون أمثالنا .. وهم جزء من الكل .. من عمال العالم
الكافحين .. وضحك أيب العجوز وقال لي آنذاك: أيها
المخدوع .. إن الطبقة العاملة في دولة صهيون هي التي تحمل
السلاح .. تحتل الجولان وسينا .. وهي التي أقامها إسرائيل منذ
البداية .. وزرعته في أرضنا التشرد والعذاب والذل .. الكفر ملة
واحدة .. هناك عمال مؤمنون عمل مارقون .. أما تقسيمهمك
يا ولدي فهي مستعمرة .. وهي أبعد ما تكون عن الحق ..
والفضيلة يا وهيب لا تتبع من طبقة .. والحق لا يكون في جانب
والإفرازات وحملة المجاهد .. كان صبورًا نقيقًا .. لدرجة تثير،
ما أضاء منه أكثر من زيجة .. وقوت عليه أكثر من فرصة ..
لكنه لم يدم أبدا .. حتى إبان الحرب كان في إمكانه أن يهرب
قبل احتلال المدينة .. لكنه كان مشغولًا بالبحث في حالة مرضية
خاصة يريد أن يصل فيها إلى قرار .. ولما اكتفت المستشفى
بالبرجى .. انهك في العمل .. ولم يفق إلا على القوات الصهيونية
تحاصر المستشفى .. وتمدخ إليها ..

وصمت وجاء برها .. ثم قالت: «كان أيب رحم الله
ينصتعا دائما .. بالانترك أرضنا .. فهمو كانت الظروف .. هذه
أرضنا وعليها نحيا .. وعليها نموت .. ولكن أيب ينسي أبدا تلك
الرحلة المرهقة الحزينة في عام 1948 وهو يحمل الزاد على
كتفه .. وطللا على كتفه الآخر .. يمضى مختصرا جحول الموت
والرعب والقبج .. تاركًا وراءه يافا .. وكان يقول لو بقي شر
 واحد من أرضنا لبقيت فيه .. من يدري .. البذرة الصغيرة قد
تنشق عنها الأرض .. وتخرج شجرة ضخمة .. تنمو أغصانها
إلى عنان السماء .. هكذا كأن يقول .. المسافة كانت تلف حياتي ..
لم أكن في الحقيقة .. وأنا المسلمة .. أفكر جديًا في الإسلام ..
كنت أعرف أمورًا سطحية تافهة عن النار والجنة وسيرة
المحاربين العظام .. كان تاريخ الرسول .. يشبه في
مخلتى قصيدة جميلة .. ذات إيقاع موسقي .. يستولي على
الألباب .. لكن أى لم أكن أفهم معنى تلك القصيدة .. ولا أتمضى

عمر يظهر في القدس

221

220

كتاب الآخر
 يكون هو المدير للحادث، للتخلص من الفتاة التي تجوم حولها الشهبات، والتي يظن المسلمون أنها دسية إسرائيلية مكشوفة لا تحتاج إلى كبر ذكاء، ثم إن راشيل وما كتب عنها في الصحف، وخاصة علاقاتها العاطفية، والأكاذيب التي دستها سلطات الأمن، كل هذا - حسبما يعتقد إيلي - قد أغضب الخليفة على راشيل، وإن تظاهر بالرضي عنها، وما يؤكد هذا الظن لدى إيلي، أن راشيل ما زالت معتمصة بالصمم، ويعتقد إيلي أن السبب في ذلك هو أنها لا تريد أن تشي برفقائها من أتباع الخليفة: لأن في ذلك خيبة أمل كبري لها، وإنهايار لمخططاتها، وستحق بها سخرية الناس. إن راشيل تعتبر الأمر مسألة كرامه وكبرياء، ثم إنها بعد تزل تحب الرجل الغامض، وتدوب شوقًا إليه.

وبقي حادث راشيل لغرًا، لم يستطع أحد أن يفسر مغالبه إلا الجنائي والمجني عليها، لكن «دافيد» لا يتكلم، و«راشيل» تأتي أن تدعي بالحقيقة، وآخذ رجال الخليفة يقومون بالتحريات اللازمة، لكي يفهموا أبعاد الحادث، منه، وانطلقوا في كل اتجاه يحاولون جمع الأخبار والهمسات والتحريات، و«إيلي» هو الآخر كاد يتجن، فهو - برجم حقق على تصرفات راشيل، وإحترارها للفارس - كان يشتعل غيظًا، كان يريد أن يعرف الجنائي لينتمي منه، وأمن «إيلي» في النهاية، بأن الفاعل لا بد وأن يكون من أنصار الخليفة، بل إن الخليفة نفسه ربما

٢٢٢

عمر يظهر في القدس

٢٢٢

كتاب أخذ
أمسكت بمعطشه الأبيض متشبعة وقال: «لقد خفث على الخليفة أن يصبه مكروه»
- «كيف؟»
- «إذا أدين دافيد، فسيثور حزبته ثورة لا يعلم إلا الله مداها، وقد يتصدى له «إيلي» وينتقم منه، وستثور فتنة في المجتمع الإسرائيلي المجنون.. قد تجر إلى كوارث.. ولن يدفع شمنها سوى الخليفة.. أنا أعرفهم وأبتغت ريقها، واسترحت لحظات، ثم عادت تقول: «عندى ألا تكشف النقاب عن الأمر.. من أجل الخليفة.. بل من أجلنا جميعاً»
- لكن ترك دافيد سيؤدي إلى نكبات أخرى.. لقد كاد يفتك بالخليفة كما تعلميين...
- «لقد نجا الخليفة والحمد لله.. انظر.. ليس هذا أوان الكشف عن كل ما جرى»
وطاطاً محمود رأسه في حيرة وانصرف... لكنه كان يشعر بسعادة قصوى... وبعد يومين أفرج عن دافيد بالضمان المالي...

لكن الأمل أخذ يخدر، عندما تنكر عدم اعتراف «راشيل» دون سبب وجيه، لو كان الفاعل في حادث راشيل هو دافيد المتصلح الحاقد، فلماذا تعتذر عليه؟
وقرر «محمود» أن يتوجه إلى المستشفى الإسرائيلي بالقدس الجديدة رغم الحراسة المشددة، عن طريق أحد أصدقائه الكذبي، لم يكن الأمر سهلًا، فقد بنى فيه جهدًا خارقًا، واستطاع أن يصل إليها.. وحينما انفردت بها، متطوعًا بفحصها لإبداء رأيها، قال هامشاً: «لست أدري لماذا تنترين عليه؟»
قالت بهدوء وبصوت هامس أيضًا: «من؟»
سند إليها نظرة ثانية لا ترتجف وقال: «دافيد».. شحب وجهها، ورق قلبيها في عنف، وابتلت أدمابها بالدموع، وهمت بالجلوس فلم تستطع، وهتفت بصوت واهن: «كيف عرفت؟»
- هذا لا يهم.. إن تسترك عليه أمر محير.. ألا أنه صديق إيلي؟»
قالت وقد تماكنت أصابها: «وهل الجميع يعرفون؟ والخليفة؟»
- يجب أن يرضحي الأمر وإلا وقعنا في بلبلة أشد.. تكلمي.. الوقت لا يسمح لنا بالثرثرة..

عمرو يظهر في القدس ٢٢٥

كتاب الإختراق ٢٢٤
وقرر الجميع من أتباع الخليفة أن يديروا خطة لتحريمه، عبر الحدود إلى أقرب دولة عربية، فهناك - حسبما يظنون - سيد الأمن والحرية، والمناخ الصالح لعمله، وسينجو من الخبث الصهيوتي. وفجأة، بلغت من إسرا السجن الذي يحتجز فيه، واعترض الخليفة في البداية وقال: «يا أبنائي... لاهم شخصي... أن أسجح أو أموت هذا شيء يحدث كثيرًا لحملة المبادئ، الهام أن تطلق الكلمات... أن تعيش في فكر الناس ووجودهم... وأن يحملوها الآخرين... فلن يستطع طاغية على حقب التاريخ أن يسجن الكلمات، لأنها كالاوراج... تجوب الأفاق... لا تنزل أو تذهب أو تدفن في التراب... حياتها أبدية... تظل تدور وتدور... ليس المهم هو عمر... المهم هو الكلمات التي حملها عمر... وتأتي تعرفونها... هاجر محمد ونحنا معه في بئر... لكن كلماته كانت تتردد في أرجاء مكة، وتحترم الأبواب والنوافذ، وينطلق صداه في الوديان وعلى قمم الجبال... وتلتقي الناس في قطعتهم معهم... يبتسمون بها أحيانًا، أو يبصرون بها في قوة لأنها كلمات صادقة قوية... لا زيف فيها ولا رياء... ولأنها كلمات الله العظيم... حسنًا، فلنسافر إلى أرض أخرى ولا نندم الكلمات هنا تفعل فعلها... عمر يظهر في القدس
ذات ليلة سوداء، غاب قمرها.. ودمرت المنزل الصغير الذي يعيش فيه عبد الوهاب وأمه وأخوه الصغير.. ومات الثلاثة...
مات عبد الوهاب الحبيب...
كان جثمانه يرقد مسجى في نفس المستشفى العربي، تغطيه الأقمشة البيضاء ذات البقع الحمراء.. خدع الجسد الطاهر.. مات.. وكل شيء في المدينة الحزينة يمضي في طريقه.. السيارات.. المصحات.. نقطة الحراسة.. الباعة.. الصحف.. أغاني المذياع.. الطائرات التي تهدد في الأفق السجين.. لأصابنا الذئاب.. كنا نتحرك في المستشفى وفي الشوارع كاشحاً هائماً.. ولما مات عبد الوهاب نعمت عيني الخليفة.. وانكسبت الدموع على لحيته البيضاء.. وأخذ يقول بصوت يخلب البكاء: «إنا العين لطيب.. وإن القلب ليحزن.. وإن»
وصرح الدكتور محمود محتقن العينين: «بدأ عهد التضحيات.. مرحبًا بالموت.. رد عليه وهيب محتذا: "بل يعد الثار.. ولكم في القصاص حياة.." وقائلاً رجاء والدموع تغمر عينيها: "دعوني أذهب للقاتل.. وأحرقته وأحرق بيته...»
بينما كنا نдер الهرب، بلغنا أن "دافيدي" اللعين، بعد أن أفرج عنه، أخذ يجمع حوله، بعض شباب الحزب المتخصصين، ويدير المؤامرات للقضاء على "جماعة أنصار عمر"، وعلى كل من يدعو لمبادئه، والحق، أن هذا الأمر قد سبب لنا إزعاجاً شديداً، فنحن لم نكن استعداداً بعد، وليس من صالحنا التصدي له على الفور، والسكت هو الآخر معناه الاستسلام والإضرار بنا، ولم يكن هناك من وسيلة سوى الاتصال براشيل، وإقناعها بأن تعلن ما خفى، وتشرح حادث عدون "دافيدي" الفاجر عليها.. لعلهم يقبضون عليه، ويرقعون مخططه ولو إلى حين.. لكن راشيل أصرت على موقفها السابق، إذ كانت مقتنعةً اقتناعًا قويًا.. بأن اعترافها سيجري إلى مشاكل تهدد وتهدم الخليفة.. وكنا نود أن نخبرها بأنه لا خوف على الخليفة لأنه سيفادى القذر قريباً.. غير أن بعض الإخوة أصر على أن يظل "الهرب" سراً مطويًا لا يطلع عليه أحد.. حتى راشيل لا يداعي إخبارها بها.. رغم اللغة فيها...
وقدمنا الأحداث بطريقة مؤلمة قاسية...
لقد وضع "مجهول" المتفرجات في منزل الدكتور عبد الوهاب السعداوي.. وانفجرت العبوة الناسفة قبيل الفجر..
وقال الخليفة في هدوء عجيب بعد أن جفف دموه: "طوبي للغزراء... طوبي للشهداء... كل يوم يسقط في أرضكم شهداء يا أبناء الأرض المشهدة... لِيُتَسَقَّل‏ عبد الوهاب وحده... من مات دون عرضة فهو شهيد... ومن مات في معركة الجهاد الأسمى شهيد... ومن مات دفاعا عن نفسه وماله فهو شهيد... والقصاص يكون من أجل أولئك الملايين المعنيين المضارعين في دمائهم وتعاستهم وذلهم... هم إخوة عبد الوهاب..."

ومر الحادث دون أن تشير إليه الصحف بكلمة واحدة، وقدد الحادث ضد «مجهول» وتهنئ رجال الأمن الصهيونيون قائلين: «إنه الحادث لأبد وأن يكون من صنع إحدى الجهات الفذرائية الليبرالية... إذ催化 أن عبد الوهاب كان يميني النزعة... بهذا تشهد التقارير التي لدينا عن حيائه وآرائه السياسية وتبنيه... أو لعل الجهات الفذرائية الليبرالية قد خالجتها الشكوك في سلوك عبد الوهاب، وظنه ضاعفاً مع راشيل، في عمالة إسرائيلية خفية... كانوا يضحكون وهم يكتبون هذه التفسيرات الغربية... مما بعث على الشك، من يدري فقد يكون لهم يد في الحادث، أو ربما كانوا يعرفونه، ويتظاهرون بالغباء حتى يضرن أنصار الخليفة في الصميم... لكننا فوجئنا بعائلاً بارزة في الصفح تقول:

عمر يظهر في القدس
أرجاء الدنيا.. آه.. كنتُ إلى والينا «أبو موسى الأشعري» ذات يوم أقول له: «إن الحق قديم، ومراجعة الحق، خير من التمادي في الباطل، ثم إنك والقلق والضجر والانتظار بالناس».

أجل يا أبيائي.. الحق قديم.. والعناية قديمة.. لأن العناية خديم الحق، وما أنتِ مصدقات بغير العناية.

ليس هذا نهاية المطاف فبالطرق طويل.. طول الدنيا.. من قديم بدأ.. والقافلة تواصل السفر.. برغم الجوع والألم والظما.. والضحكات.. ما قدره الله يكون كل شيء بقضاء.

وقدر.. ألا أن قدر الله هو نظامه وهو عدل..

وأخذتنا سنة من النوم.. لم نستطيع أن نغالب النعاس.. وبعد فترة لا أدري أطالت أم قصرت تيقنت.. وأخذت تلتفت يمنة ويسرة.. وصرخت في رعب: «الخليفة! أين الخليفة؟».

وسيقوم الأحياء من نومهم مدعيين دهشتين.. الدكتور محمود والدكتور وهمي ورجاء والسائق وغيرهم من الرجال.. وأخذنا نجري هنا وهناك.

نصعد القمم.. ونندير على السفوح.. ونجوب الوديان.. وننادى وننادي وننادي بأصوات لهذي يخالطها البكاء:

والحقيقة أن الفدائين من «فتح» قد قدموا لنا مساعدات كبيرة في هذا المجال.

وتمت الخطة بنجاح لم نكن نتوقعه، ولم يصادفنا موقف حرج يضايقنا لاستعمال السلاح، وحينما بلغنا منطقة آمنة تكتنفت التلال والوديان تركنا السيارة تحت شجرات برية حجبتها.. وانطلقنا عبر الشعاب.. والفجر لم يكون قد أرسل تبشيره بعد.. وبعد مسيرة طويلة جلسنا في مكان آمن لمستقبل.

وانتقدنا قليلة وجرعات من الماء.. كان الخليفة يقول: «يا أبيائي.. لن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.. لا نظروا أنكم قد خلفتم المتاعب وراءكم في أرضكم المحتلة التي يعرده فيها أبناء صهيون.. لا.. لا.. المتاعب في كل أرض.. العالم كله يرحب تحت كابوس وهمي من القلق والتمزق والحيرة.. حتى المنتصرون».

كالعيش في البديلاء يقتلها الظلماء والماء فور ظهورهما مموملاً.

وكان اليهود يرون القضاء علينا باسوب خبيث.. كالجائع النهم الذي يأكل في تلذذ وبطء ليلغ أقصى درجات الإمتاع.. كانوا يزقومن خبئهم.. لكن من أثركم.. قد تعانون نوعاً آخر من العنان والشقاء في الأرض الجديدة.. يا أبائي.. ليست هذه آخر الكلمات كما أنها ليست أولها.. من قديم وهي تتردد في
قلت للمحققين: "إنه في كل مكان... إنه ليس مجرد جسد... هو فكر وعقيدة... إنه إيمان... مستحيل أن تقبضوا عليه... إن أردتم فاقبضوا على كل رجل ذي قلب مؤمن... هم... هو... وهو هم... أقسم لا أعرف مكانًا بعينه قد ذهب إليه... لو علمت أن شخصه في أي مكان على ظهر الأرض لطرت إليه... إنه باعث روحي وحياتي... وملهم فكري... كلماته وجودي... لكني واثق أنه سيعود للظهور...

هتف المحققون في لفحة: "متى؟"
قلت: "هذا أخبرني سرا... كان يحبني... متى يأتي؟ أين؟ لا أدري... ليتني أعرف... لكنني سعيش على أمل اللقاء به... وساجد... إنه لا يكاد... إنه شعاع من نور النبوة... أنت اقتلن الشعاع؟ مستحيل... وعندما يعود ثانية فلن أهتم... سأظل يقظًا أمرسه بروحي وعيني ودمي... وأتشتت بأطراف ثيابه الطاهرة... وأمضى خلفه في أي درب يسير... يا شعب الفيلان والأبالسة... ألم أقل لكم إنه وجودي؟ ما أكثر الذين يموتون... لكنهم أحياء..."

يا أمير المؤمنين... يا خليفة رسول الله يا عمر بن الخطاب... أين أنت؟!

 ولم يعد إلينا سوى الصديق الحزين، ممتزجا بخخفات الأرواح. وطلع الفجر ساكتًا كثيبيًا على قافتلا الضائعة المتعبة... وحلقت فوقنا طائرات "هليكوبتر" إسرائيلية كسرت من الغزبان السوداء...

كانا ترقبًا في غير إكثار...
ثم هبطت إلى جوارنا، وحالنا الصهيويون بسلاحهم...
ثم ساقونا إلى السجن...

كانا نسير وكافنا في حلم لا تكاد نصدق ما يجري...
وكتب الصحف الصهيونية في لهجة تتع ان الفيض والحقد:
"هروب الجاسوس العربي الغامض..."
"راغب تساب بنكسة وأنهيارات عصبي عقب سماعه النبأ..."
"العرب يقومون بظاهرة في المدينة القديمة...
"التحقيق يجري مع مدير الحادث...
"أخبار غير مؤكدة تقول إن "الخليفة المزعوم" شهد...
داخل أحد المعسكرات الفدائية في الضفة الشرقية..."
وعندنا نحن إلى السجن من جديد... لنقاسي ألوانًا بشعة من التعذيب... من أجل أن نرشد عن المكان الذي قصده أمير المؤمنين..."
قال ضابط الأمن الكبير لزافقة: "راشيل جرثومة فساد في مجتمعنا الإسرائيلي، وستسبب لنا كثيرًا من المتاعب. لا خلاص منها إلا بالموت... أجل... الموت! لذا ننظر على هكذا؟ هذا هو رأي المؤسسة العسكرية الحاكمة... ليس لدينا وقت للذف الخرابات... هؤلاء اليهود الشرقيون حقراء... استمعوا إلي جيدًا لن يقول الأمر أدنى دهشة أو ريبة... فهي مصابة بجروح خطيرة... لقد انتهت حالتها وماتت... هذا ما سنشيده، وسيصدقنا الجميع... ولقد اتخذا التدابير اللازمة لذلك... أنتهى الاجتماع.

وفي مساء اليوم الذي دفنت فيه "راشيل"، وجد "إيلي" منتشرًا في حجرة هومه، كما صار أمير بالإفراج عن "دافي" لعدم وجود شهود عيان للحادث... ولأن "راشيل" كانت في حالة صحية لا تسمح بالثقة في أقوالها، كما أثبت تقرير الأطباء المختصين.

أما أنا ورجاء ووهيب ومحمود العنايمي، فقد حكم علينا في إحدى المحاكم العسكرية والسجن خمس سنوات، لاشترطنا كما يلزمون - في شبكة جاسوسية خطيرة، يتزعمها شيخ فدائي يغلب على الظن أنه من الزعماء الروحيين.
الفصل التاسع عشر
الفصل العشرون
الفصل الحادي والعشرون
الفصل الثاني والعشرون
الفصل الثالث والعشرون
الفصل الرابع والعشرون
الخاتمة

RAJOL

كتاب الجزء